سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com

تصدر من دمشق

سوريتنا | السنة الثالثة | العدد (135) | 20 / 4 / 2014

أسبوعية تصدر عن شباب سوري مستقل

جمعة

سلام عليك
من قبل ومن بعد

لوحة الغلاف الفنان فادي زيادة

لجنة تحقيق أممية تؤكد صحة صور 11 ألف معتقل قضوا تحت التعذيب في السجون السورية

■ ملف الإخبار من إعداد: زليخة سالم

أكد البروفسور ديفيد كراين المدعي العام السابق الرئيسي في المحكمة الخاصة لسيراليون عضو لجنة تحقيق الأمم المتحدة إن أن صور التعذيب التي التقطها المصور سيزار (القيصر) في سجون النظام السوري صحيحة وتمثل أدلة يمكن أن تصمد في محكمة دولية، موضحاً أن الصور التي أمضى سيزار المنشق عن الشرطة العسكرية سنتين في جمعها من بينها صور لأطفال وشيوخ ونساء.

واعتبر كراين في مؤتمر صحفي عقده مع الدكتور ستيوارت هاميلتون الخبير الطبي البريطاني عضو لجنة التحقيق والسفير الفرنسي لدى الأمم المتحدة جيرار ارو عقب جلسة مغلقة لمجلس الأمن يوم الثلاثاء الماضي ناقشت التقرير الذي عرضه الخبيران حول صور التعذيب أن التقرير "ليس سوى الجزء الظاهر من جبل الجليد لأنه يتناول ثلاثة سجون علماً بأن هناك خمسين" سجناً في كل أنحاء سورية، وشبه كرين معاملة الضحايا في سورية بمعسكرات التعذيب النازية.

وقال كرين "الجانبان يرتكبان جرائم دولية لسنا هنا للانحياز إلى جانب على حساب الآخر، نرى مجرد أشخاص يقتلون أشخاصاً على نطاق كبير وهو ما لم نره منذ رواندا خلال الإبادة الجماعية.

ووصف كرين خطة إخراج القيصر من سورية بأنها مذهلة وقال: بأنها ستكون أحد أفلام هوليوود ذات يوم، حيث قالوا إنهم قتلوه وأبلغوا عائلته بأنهم قتلوه، وأقامت العائلة جنازة فيما كان يجرى تهريبه خارج البلاد.

وأكد الدكتور ستيوارت أن اللجنة فحصت 5500 صورة ل 1300 معتقل، وأن الضحايا الذين تم عرض بعض صورهم أمام الصحافيين "تم تجويعهم طوال أسابيع أو أشهر.

وقال جيرار آرو أن بلاده ستطرح على مجلس الأمن الدولي مشروع قرار يطلب إحالة جميع جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبت في سورية على المحكمة الجنائية الدولية، وأنه سيحاول الحصول على إعلان يفيد بأهلية المحكمة الجنائية الدولية للنظر في جرائم نظام الأسد، لأن بحوزة المجتمع الدولي العديد من الأدلة على هذه الجرائم.

وأضاف آرو بعد إطلاع أعضاء المجلس على صور التقرير في حضور المندوب الروسي أعقبه صمت مؤثر استمر دقائق عدة، لأن التاريخ البشري قليلاً ما أظهر فظائع بهذا المستوى، "أمامنا مأساة بشرية يجب أن نقف إلى جانبها"، و الصور المسربة مجرد عينة عما يعيشه المعتقلون.

وأكد آرو أن باريس تهدف من التقرير مخاطبة "الضمير الإنساني" ولا تستخدمه لأغراض سياسية وقال: على المحكمة الجنائية الدولية "أن تحقق في كل الجرائم التي ارتكبت في سورية" بما فيها ما ارتكبته المعارضة المسلحة،

موضحاً أن 11 دولة من أصل 15 دولة عضواً في مجلس الأمن انضمت إلى المحكمة الجنائية الدولية، وسبق أن أيدت العديد منها إحالة الملف على المحكمة الجنائية الدولية هي فرنسا وبريطانيا والأرجنتين واستراليا وتشيلي وليتوانيا ولوكسمبورغ ونيجيريا وكوريا الجنوبية.

وقال السفير الفرنسي "سنحاول إقناع أصدقائنا الروس والأعضاء الآخرين بمجلس الأمن بأن محاسبة الجناة حل عادل لمشكلة حقيقية، لكنني أقول لنظرائي الأربعة عشر إنه بعد القرار الذي ستتخذونه بشأن الإحالة للمحكمة الجنائية الدولية فإن عليكم أن تنظروا لأنفسكم في المرآة, أن تنظروا لأنفسكم وستضطرون إلى القول لأنفسكم ما الذي فعلته عندما حان الوقت.

ويرى دبلوماسيون غربيون ان هذه المبادرة ستتيح تعزيز الضغط على النظام السوري وعزل موسكو داخل المجلس رغم أن الفيتو الروسي شبه مؤكد.

وعبرت السفيرة الأميركية في الأمم المتحدة سامانثا باور عقب الجلسة عن إحساسها بالفزع وقالت: إن الصور الفظيعة للجثث التي يظهر عليها علامات التجويع والخنق والضرب تقشعر له الأبدان ويؤكد أن نظام الأسد ارتكب أعمل قتل ممنهجة على نطاق واسع وبأعداد كبيرة، ولابد من محاسبة مرتكبي هذه الجرائم المشينة ويجب على المجتمع الدولي أن يتحد في مواجهة هذه الأعمال الوحشية."

ويتضمن التقرير الذي عرضه الخبيران تحليلاً ل 55 ألف صورة التقطها القيصر ل 11 ألف معتقل في زنازين النظام بين نهاية 2011 و صيف 2013، وطبع نسخاً منها قبل أن يغادر سورية سراً، وتأكيداً بأن الصور تتمتع بالمصداقية وأنها صور أصلية، ويمكن أن تشكل أدلة أمام محكمة دولية.

وبحث مجلس الأمن في جلسة مغلقة غير رسمية، نظمتها فرنسا لـ"إطلاع مجلس الأمن على تفاصيل التقرير المتعلق بممارسة التعذيب والإعدام في سجون النظام السوري، إمكانية "إجراء المحاسبة على الجرائم المرتكبة.

وكانت اللجنة التي تشكلت عقب التسريبات الصادمة عن طريق مكتب حقوقي في لندن بمشاركة عدد من الحقوقيين والخبراء الدوليين، الذين كلفتهم الأمم المتحدة بمهمات في قضايا سابقة، في لجنة التحقيق بجرائم الحرب المرتكبة في سورية قد دققت بالصور، وحددت أساليب القتل، واستنتجت أن معظم القتلى هم من الرجال، تتراوح أعمارهم بين 20 و40 عاماً، وأن غالبية الضحايا قتلوا خنقاً باستخدام الحبال أو الأسلاك، كما استُخدم أسلوب الخنق باليدين عوضاً عن الإعدام، وأن معظم الضحايا تعرضوا قبل الوفاة للضرب بأجسام تشبه القضبان الحديدية، كما تبين أن جميع الجثث كانت موثقة اليدين.

ولاحظت اللجنة على الجثث تغيّر في اللون وتفسخ وتحلل في الأنسجة ناجمة عن الجوع والتعذيب، وأن أكثر من نصف الجثث هزيل بدرجة شديدة، كما شوهد على بعض الجثث جروح ناجمة عن الصعق بالكهرباء.

وكانت نافي بيلاي قد حملت الحكومة السورية. المسؤولية الأكبر عن معظم انتهاكات حقوق الإنسان، والجرائم المرتكبة، ضد المدنيين من ثلاث سنوات، وقالت إن المعارضة المسلحة ترتكب انتهاكات وجرائم ولكنها لا تقارن بجرائم النظام.

من جانبها قالت منظمة هيومن رايتس ووتش إن تحركات فرنسا في مجلس الأمن لإحالة سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية تمنح قوة دافعة للجهود الدولية الرامية إلى ضمان العدالة هناك.

ودعت المنظمة الدول الأعضاء في مجلس الأمن وغيرها أيضاً إبداء الدعم لإحالة الوضع في سورية إلى المحكمة الجنائية الدولية، وإقناع الأعضاء الممانعين، وبخاصة روسيا والصين، بأهمية التصدي لقضية المحاسبة على الجرائم المرتكبة من كافة الأطراف.

وقال ريتشارد ديكر مدير برنامج العدالة الدولي في هيومن رايتس ووتش إن "المحكمة الجنائية الدولية، بالنسبة للضحايا الذين لم يعرفوا سوى المعاناة في سورية، تقدم الأمل في العدالة والجبر والانصاف، كما أنها ترسل رسالة تحذير للمسؤولين عن جرائم خطيرة

حيدر سليمان فرحان الكفري ينضم لقافلة الشهداء الإعلاميين في سوريا

استشهد الإعلامي حيدر سليمان فرحان الكفري (أبو بكر) يوم الجمعة الماضية متأثراً بجراحه بعد إصابته في معركة تحرير التل الأحمر الغربي في ريف القنيطرة

والشهيد الكفري من أبناء بلدة المتاعية بريف درعا، كان مقاتلاً مع حركة أحرار الشام الإسلامية، إضافة إلى عمله الإعلامي.

من جميع الأطراف، تفيد بأن يومهم أمام المحكمة قد يأتي قريباً.

وأضاف ديكر: "إن إحالة الوضع في سوريا إلى المحكمة الجنائية الدولية لن تعوض عن تخاذل مجلس الأمن بتأثير روسيا حتى الآن، لكنها قد تمثل نقطة تحول في التصدي للانتهاكات المريعة التي اتسمت بها الحرب في سورية، وسوف يصعب على روسيا أن تشرح سبب رفضها لقيام المحكمة بملاحقة الفظائع التي ارتكبتها قوات الحكومة والمتمردين المتطرفين على السواء.

وأوضحت المنظمة أنه سبق لها توثيق الاستخدام الموسع من جانب الحكومة السورية للتعذيب في مقار تشمل أرجاء البلاد، من خلال مقابلات مع ناجين ومنشقين، وزيارات إلى مراكز احتجاز سابقة، ومعاينة مباشرة لأدوات التعذيب وحجراته.

وخلصت هيومن رايتس ووتش استناداً إلى تحقيقاتها إلى قيام الحكومة والقوات الموالية لها بارتكاب جرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب, ورغم أن الفرصة لم تسنح لها للتحقق من صور الانتهاكات الواردة في تقرير مجلس الأمن إلا أن ما توصلت إليه يوحي بانتشار التعذيب والوفاة أثناء الاحتجاز في منشآت الحكومة السورية.

كما وثقت المنظمة جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية على أيدي بعض الجماعات المسلحة غير الحكومية، بما في ذلك الاستخدام العشوائي عديم التمييز للسيارات المفخخة، ومدافع الهاون، وعمليات الاختطاف، والتعذيب والإعدام خارج نطاق القضاء.

ودعت هيومن رايتس ووتش سائر البلدان، وبوجه خاص البلدان العربية التي أبدت القلق مراراً من أعمال القتل في سوريا، أن تنضم إلى النداءات المتصاعدة من أجل المحاسبة، ودعم الإحالة إلى المحكمة الجنائية الدولية بصفتها المنتدى الأقدر على التحقيق مع أصحاب المسؤولية الأكبر عن الانتهاكات في سورية، وملاحقتهم بفعالية.

وبدوره دعا الاتحادُ الأوروبي مجلسَ الأمن إلى إحالة ملف سورية إلى المحكمة الجنائية الدولية، حتى لا يُفلت المسؤولون عن الجرائم المرتكبة في سوريا من القضاء، مجدداً التأكيد على أن حل الأزمة السورية لن يتم سوى بالوسائل السياسية.

وحمّل الاتحاد الأوروبي يوم الاثنين جميع الأطراف في سورية مسؤولية وصول المساعدات إلى المدنيين في أنحاء البلاد. كما اتهم النظام السوري باستخدام الحصار والتجويع أداة حرب.

و قالت كاترين آشتون، منسّقة السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي: "الوضع مفزع حيث تتوالى التقارير عن الفظائع التي يجري ارتكابها، وقد بلغ العنف مستوى لا يُطاق. ويقتضي الأمر من الجميع بذل الجهود الممكنة من أجل إيجاد حل سياسي، وهو ما دأبت التأكيد عليه على مدى ثلاث سنوات من أجل إيجاد حل للأزمة.

قوات البحرية الإيطالية تنقذ حوالي 6 آلاف شخص على سواحل صقلية وكالابريا بينهم سوريين

أنقذت قوات البحرية الإيطالية ما يقرب من 6 آلاف شخص انطلقوا في رحلة من ليبيا على متن 40 قارباً على مدار أربعة أيام الأسبوع الماضي، بينهم أعداداً ضخمة من النساء والأطفال,وأطفال حديثو الولادة وأطفال مرتحلون دون ذويهم، أتى معظمهم من سوريا وإريتريا والصومال ونيجيريا وغامبيا ومالي والسنغال.

وقالت ميليسا فليمنغ كبيرة المتحدثين لدى المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين: إن المفوضية تواصل تشجيعها للدول على التعاون في إنقاذ الأشخاص في البحر في نفس الوقت الذي تبحث فيه عن قنوات شرعية بديلة لحماية الأشخاص من خوض هذه الرحلات الخطرة في المقام الأول، مؤكدة ضرورة وجود مرافق استقبال ملائمة وذات قدرات هائلة لاستيعاب أعداد طالبي اللجوء والمهاجرين الذين جرى إنقاذهم.

وأشارت فليمنغ في تصريح لها: إلى إمكانية إنشاء مرافق استقبال إضافية وتقديم المساعدات للوافدين، إلى جانب تقديم حلول مستدامة لهم، عن طريق الحصول على دعم من الاتحاد الأوروبي، مؤكدة استعداد المفوضية للتعاون مع الحكومات والشركاء الآخرين من أجل تحديد حلول طويلة الأجل استجابة للوضع الراهن.

وجرى إنقاذ ما يزيد عن 20 ألف شخص في البحر حسب المفوضية منذ أن بدأت الحكومة الإيطالية عملية الإنقاذ "مار نوسترام" في أكتوبر 2013، عقب أحداث تحطم السفن المأساوية التي لقي فيها أكثر من 600 شخص مصرعهم.

ووصلت أعداد الوافدين عام 2013 إلى 43 ألف شخص تقريباً، يمثل السوريين المجموعة الكبرى بينهم، حيث تزيد أعدادهم عن 11,300 شخص، فيما وصلت أعداد الوافدين إلى إيطاليا بحراً هذا العام إلى ما يقرب من 18 ألف شخص.

بدء التحقيق مع شركة كوزموس الفرنسية المتهمة بتزويد النظام السوري بأدوات مراقبة للاتصالات الإلكترونية لقمع المعارضين

بدأ القضاء الفرنسي الأسبوع الماضي بالتحقيق في الشكوى التي قدمها كل من الاتحاد الدولي لحقوق الإنسان ورابطة حقوق الإنسان في حزيران 2012 والتي تتهمان فيها شركة فرنسية بتزويد النظام السوري بأدوات مراقبة.

وقال الاتحاد والرابطة في بيان لهما إنه تم تعيين ثلاثة قضاة متخصصين في الجرائم ضد الإنسانية لإجراء التحقيق بقضية « كوزموس » الشركة التي تتهم في تزويد النظام السوري بأدوات مراقبة تتيح لأجهزة الاستخبارات «تطوير وسائل قمعها للأصوات المعارضة، وخصوصاً عبر اعتراض اتصالات إلكترونية في موعد حصولها بمساعدة كلمات مفاتيح.

وقالت المحامي باتريك بودوان الرئيس الفخري للاتحاد الدولي لحقوق الإنسان في البيان «لا بد من أن يكشف القضاء الفرنسي الضلوع المحتمل لشركة كوزموس في تزويد النظام السوري بأدوات مراقبة هدفها التجسس على الشعب السوري ومن أن يسفر هذا التحقيق عن النتائج القضائية» المتوخاة.

من جانبه قال ميشال توبيانا الرئيس الفخري لرابطة حقوق الإنسان «نأمل في أن يجري هذا التحقيق بمنأى عن أي تدخل سياسي.

وقالت شركة كوزموس في بيان لها حسب وكالة فرانس برس أن أيا من معداتها أو برامجها لم يتم تشغيله في سورية، وأنها تقدمت في أيلول 2012 بشكوى ضد الاتحاد والرابطة، مشيرة إلى أنها بحثت إمكانية العمل مع شركة ألمانية هي أحد فروع شركة إيطالية تنشط في سورية، لكنها صرفت النظر عن هذا المشروع في شهر تشرين الأول 2011، معتبرة أن هذه الاتهامات تهدف إلى تشويه سمعتها، وأنها ستواصل تعاونها مع القضاء.

وحظر الاتحاد الأوروبي كانون الثاني 2012 تصدير أي معدات مراقبة معلوماتية إلى سورية يمكن أن تستخدم في قمع المعارضة المناهضة للنظام.

معرض (حكايا الثورة) بحلب

اليوميات السورية لثلاث سنوات

منظمة الحراك السلمي السوري :

للثورة آلاف الحكايا، بعضها ممهورٌ بأسماء الشهداء، تواريخ المظاهرات، أو المعارك العديدة التي خاضها الناشطون سلمياً في وجوه شتّى أنواع التطرّف، العسكري والديني والسياسي، ولتصحيح الأخطاء وتوحيد الجهود. كلّ هذه الحكايا تجد منها في معرض "حكايا الثورة" الذي نظّمه "تجمّع أنا سوري" بالتعاون مع "منظمة الحراك السلمي السوري" في حلب على مرحلتين..

فعلى بعض جدران المعرض، تجد أبرز اللافتات التي حملها المتظاهرون خلال الأعوام الثلاثة الماضية من ثورتهم في حلب، تجسّد همومهم ومختلف المآسي التي مرّوا بها، ومطالبهم وأحلامهم. لافتات مثل "من يركع فكرياً ولو لمرّة واحدة ينسى كيف يقف ثانية.. نحن لن نركع" في وجه التماهي الفكري مع أي جهة ما بسبب قوتها المالية أو العسكرية. وعن المجتمع المتعدّد الذي يحلمون به والدولة العادلة التي يسعون إليها لافتات مثل "قيمٌ من السماء وفي الوطن متسع للجميع"، "نريد قضاءً قوياً"، "نحن لا يعنينا ما تؤمن به، يعنينا الذي يمكن أن تفعله بهذا الايمان.. تبني أم تهدم.. تظلم أم تعدل..."، ورسائل للمجتمع الدولي، والناشطين في كل مكان، للتضامن مع الثورة السورية ومعاناة الشعب السوري.

وعلى جدارٍ آخر، صور الدمار الذي ألحقه قصف النظام، الحرائق، التشرّد سواءً في شوارع المدن أو المخيمات، والحنين للعودة. وعلى جدارٍ أطلق عليه المنظمون، جدار الأمل، صور لمظاهرات سلميّة يملؤها الأمل والإبداع وإصرار على اكمال الطريق. وجدارٌ لصور الشهداء، حيث يقف ناشطو التجمع في ذكرى رفاقهم وأحبابهم ممّن استشهدوا في سبيل الحرية والعدالة والكرامة.

وفي وسط المعرض، عرض لبعض مخلفات الحرب والقصف، حُوّل بعضها لأعمال فنيّة، فلمسة الثورة المدنية تحوّل أدوات التدمير لأعمال فنيّة توصل رسائل الثوّار برمزية عالية.

رسومات الأطفال أخذت حيّزاً كبيراً من المعرض أيضاً، وعُرضت لوحات رسمها الأطفال ضمن مسابقة "الرسام الصغير" التي نظمها "تجمّع أنا سوري" في حلب. الرسومات تعكس ما في نفوس الأطفال من حزن لرؤية الدمار في كلّ مكان، وخوفهم المتواصل من القصف، وأملهم بغدٍ أفضل، وبمكانٍ يلعبون فيه مع أصدقائهم بأمان.

شاشة العرض في الشارع مع الأغاني التي جذبت العديد من المارّة لمشاهدتها، وتوافد الزوّار من رجال ونساء وأطفال وحتّى عسكريين، يعكس اهتمام المجتمع بالأنشطة المدنية وتعطشه لها، وقدرتها على الوصول لشرائح متعدّة من المجتمع باختلاف اهتماماتها. وهذا يؤكد أهمية ما يقوم به الناشطون المدنيون السلميون، وأملهم الذي لن يضعف أبداً بالتغيير وبسوريا أفضل، وبإصرارهم على مواجهة كافة أنواع التطرّف والتعصّب.

إدانة دولية واسعة للتعذيب المستخدم بشكل شائع في السجون السورية، وفي معتقلات بعض المجموعات المسلحة

دانت نافي بيلاي المفوضة العليا للأمم المتحدة لحقوق الإنسان تعميم التعذيب في السجون السورية، ومن طرف بعض المجموعات المسلحة منها "داعش.

وقالت بيلاي إن نتائج التحقيق مع 38 شخصاً تعرضوا إلى التعذيب تؤكد أن التعذيب مستخدم بشكل شائع في مراكز الاعتقال الحكومية في سورية، وتستخدمه بعض المجموعات المسلحة أيضاً.

وتحدثت المفوضية العليا للأمم المتحدة لحقوق الإنسان في وثيقة من 8 صفحات نشرتها فرانس برس الاثنين عن شهادات رهيبة ل 38 شخصاً تعرضوا للتعذيب دون ذكر أسماء أصحابها، وقالت: بأنه "غالباً ما يخطف رجال ونساء وأطفال من الشوارع ومن منازلهم وأماكن عملهم أو يعتقلون في مراكز تفتيش تابعة للحكومة ثم ينقلون إلى العشرات من مراكز الاعتقال الرسمية أو السرية.

وكشف التقرير أن هؤلاء غالباً ما يعتقلون سراً ولفترات غير محددة، وينقلون أحياناً من مركز إلى آخر، و أن هناك مراكز اعتقال في ثكنات الجيش وبعض المطارات، مشيراً إلى حالات عدة مساجين تم توثيقهم وتثبيتهم أو علّقوا على الحائط وعصبت أعينهم ثم تعرضوا إلى الضرب والحرق والصعق بالكهرباء والتعذيب بعدة أدوات، إضافة إلى أعمال عنف جنسية تعرض لها رجال ونساء.

وأورد التقرير شهادة لناشط من دمشق يبلغ عمره 28 عاماً، اعتقل في 2011 و2013 لدى أجهزة استخبارات سلاح الجو في كفر سوسا بمنطقة دمشق، قال "كنت معلقاً من رجلي وأصرخ صراخاً شديداً فأتى حارس وضربني على بطني وقال إنه فعل ذلك لينسيني ألم الذراعين.

وتعتبر الأمم المتحدة أن التعذيب يشكل جريمة ضد الإنسانية عندما تستخدم بشكل واسع.

مركز توثيق الانتهاكات في سوريا:
النظام يستخدم غازات محرمة دولياً في كفر زيتا بمحافظة حماه

دعا مركز توثيق الانتهاكات في سورية منظمة حظر الأسلحة الكيماوية لإرسال فريق متخصص إلى المواقع التي تعرضت للقصف بالغازات السامة ومنها كفر زيتا في محافظة حماه، وفتح تحقيق فوري للتحقق من نوع الغاز المستخدم في هذه الهجمة وتحديد المسؤولين عن تنفيذه والوصول إلى المشفى الميداني الذي تم علاج المصابين فيه.

وقال المركز في تقرير خاص له: أن مدينة كفر زيتا تعرضت إلى قصف جوي بالبراميل المتفجرة حيث تم رصد سقوط 3 براميل متفجرة حوالي الساعة السادسة مساءا من يوم الجمعة 11-4-2014، واثنان آخران حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً، حيث حملت البراميل المتفجرة الأولى التي ألقيت على المدينة غازات كيماوية و سامة بحسب شهادة الطبيب حسن الأعرج (مدير الصحة في محافظة حماه الحرة) الذي قابله المركز عبر السكايب صباح يوم السبت.

وأوضح الطبيب الأعرج، أن أحد البراميل التي ألقيت غرب المدينة كان ضخماً للغاية، وأصدر بعد انفجاره أبخرة صفراء اللون توجّهت على أثرها فرق الإسعاف إلى المكان كما جرت العادة عند قصف المدينة بالبراميل المتفجرة، ووجدوا حالات مصابة بإصابات غير معهودة سابقاً وهي (اختناق وتخريش وسعال جاف وسعال دموي وزبد فموي واقيائات) وقدر عددهم ب 100 حالة مصابة، وتم نقل المصابين إلى المشفى وتقديم علاج عرضي لهم، وتراوحت درجة الإصابات بين ضعيفة ومتوسطة وشديدة بحسب الأعراض، وتمت معالجتهم بالرذاذ ومضادات الإقياء ووصلهم إلى جهاز التنفس بالإضافة إلى إعطاءهم أدوية موسع القصبات والكورتيزون.

وكشف الطبيب للمركز بأن رائحة الغاز المستخدم كانت واضحة جدا بأنها غاز الكلور وهي شبيهة بمستحضر (كلوركس) الذي يستخدم في المنازل، وكانت درجة الحرارة دافئة نسبيا مع رياح متوسطة السرعة مما أدى إلى تلاشي رائحة الغاز بمحيط 500 متر عن مكان سقوط البراميل المتفجرة المحملة بالغاز السام.

وقال نحن لا نملك أي أدوات لتحليل الغاز المستخدم، لكننا قمنا بأخذ عينات دم وبول من المصابين الخمسة الأشد تأثرا بهذا الغاز.

وقد وثق مركز توثيق الانتهاكات وفاة 19 شخصاً في مدينة كفرزيتا منذ مطلع العام نتيجة قصف قوات النظام بالبراميل المتفجرة على المدينة.

و أكد المركز في تقريره أنه تم استخدام البراميل المتفجرة المحملة بالغازات الكيماوية والسامة للمرة الثانية في اليوم التالي 2014/04/12 حيث تم قصف المدينة بأربعة براميل متفجرة بعضها محمل بالغازات الكيماوية والسامة أدت إلى حصول نفس الأعراض عند عشرات من سكان المدينة وتم القصف في الحارة الشرقية من المدينة بحسب شهود العيان.

وأشار إلى وجود اسم شركة نورينكو على البرميل وهي شركة صينية مصنعة للآليات العسكرية والمواد الكيماوية بحسب ويكيبيديا، ويظهر رمز CL2 وهو الرمز الكيميائي لغاز الكلورين السام!

وأوضح المركز أن الشهادات والصور والفيديوهات من المشفى الميداني تؤشر بشدة على إمكانية استخدام الأسلحة التي من المرجّح أن تكون ذات طبيعة كيماوية من قبل النظام السوري ضمن الأحداث الجارية، وهذه تعتبر جريمة حرب إن ثبت ذلك عبر لجنة التحقيق الخاصة باستخدام الأسلحة الكيماوية في سورية، وخرقاً لبروتوكول جنيف 1925 لمنع استخدام الغازات الخانقة والسامة أثناء الحروب، وخرقا لتعهدات النظام السوري الذي انضم إلى معاهدة حظر الأسلحة الكيماوية بشكل فعلي بتاريخ 14-10-2013 والتي قالت في (الفقرة الأولى/ ب) التالي: "تتعهّد كل دولة طرف في هذه الاتفاقية بألا تقوم تحت أي ظروف باستعمال الأسلحة الكيميائية.

وقال: يُسجل هذا الهجوم طريقة جديدة من طرق النظام السوري لإيصال المواد الكيماوية والسامة، ومنذ بداية العام الحالي تواردت أنباء ذات مصداقية عالية عن استخدام النظام للسلاح الكيماوي في مدينة داريا، لكن منظمة حظر الأسلحة الكيماوية ولجنة التحقيق بمزاعم استخدام الأسلحة الكيماوية لم تتحرك للتحقيق في تلك المزاعم.

وجدد المركز مطالبته للجنة التحقيق الخاصة بالأسلحة الكيماوية في سورية بالتوجه

فورا إلى موقع الحادثة لأخذ العينات من مكان استخدام السلاح الكيماوي، ومطالبته لمجلس الأمن لعقد اجتماع فوري لإصدار قرار يلزم النظام السوري بالسماح للجنة التحقيق الخاصة بالأسلحة الكيماوية بالدخول إلى مدينة كفرزيتا في ريف حماه، والمباشرة الفورية بالتحقيق ووقف عمليات القصف البري والجوي للمدينة منعا لطمس وإتلاف الأدلة في مواقع الهجوم، وإحالة الملف السوري إلى محكمة الجنايات الدولية.

لجنة حماية الصحفيين: سورية أخطر دولة للعاملين في حقل الصحافة

أكدت لجنة حماية الصحفيين في تقريرها السنوي لعام 2013 أن سورية أخطر دولة للعاملين في حقل الصحافة والإعلام، وأن الصحفيين العاملين في سورية واجهوا تهديدات جديدة خلال العام الماضي إذ تم اختطاف عدد غير مسبوق منهم، يعتقد أن العديد منهم محتجز لدى تنظيم داعش المرتبط بالقاعدة.

وحمل التقرير النظام السوري والفصائل المسلحة المرتبطة بالنظام بالتورط في انتهاكات ضد الصحفيين بما في ذلك احتجاز وقتل.

وقال شريف منصور المسؤول الإعلامي باللجنة لدى إطلاق التقرير يوم الأربعاء أن سورية باتت أخطر في العالم بالنسبة للصحفيين، حيث وثقت اللجنة مقتل 39 صحفياً داخل سورية في العام الماضي، إضافة إلى اختطاف أكثر من 80 صحفياً وإعلامياً منذ عام 2011.

وأضاف منصور: نجحت الجماعات المسلحة على امتداد العام الماضي في إسكات الأصوات المعارضة، ومن الإفلات التام من المعاقبة، ما أدى إلى تناقص عدد الصحفيين المستعدين لتحمل المخاطرة من أجل تغطية الأحداث في سورية، ورفض العديد من الصحفيين الدوليين دخول سورية، وفرار الكثير من الصحفيين المحليين إلى المنافي خشية تعرضهم للقتل.

وأدرج التقرير سورية في المرتبة الثالثة للبلدان الأكثر فرضاً للرقابة على الإعلام نظراً لسعي حكومة الأسد إلى كبت التغطية المستقلة للأحداث، فبالإضافة إلى قطع شبكات الهاتف والكهرباء والإنترنت، كثفت السلطات الهجمات بالبرامج الإلكترونية الخبيثة على المراسلين، واستخدمت التعذيب لانتزاع كلمات مرور الصحفيين على شبكة الإنترنت.

لجنة حماية الصحفيين هي لجنة مستقلة غير ربحية معنية بحرية الصحافة تتخذ من نيويورك مقراً لها، تأسست عام 1981، وتهدف إلى حماية حرية الصحافة والدفاع عن حقوق الصحفيين.

الدفن في دمشق.. للأغنياء قبورهم وللفقراء عدرا

بمليون ونصف تملك قبرا في العاصمة، والمحافظة تقدم الممتاز بعشرين ألفا

■ عامر محمد - دمشق

قصص الموت في سوريا كثيرة ومحزنة ولعل الهاجس الأكبر بالنسبة لغالبية المسنين من النازحين إلى دول الجوار أو في الداخل، هو الخوف من الموت بعيدا عن مسقط الرأس، أم عبد الرزاق (78 عاما) من حمص نزحت إلى القلمون مع زوجها (90 عاما) وعائلة ابنها الصغير تقول "أصلي كل يوم طالبة من ربي ألا أموت بعيدا عن مسقط رأسي" أما في مسقط رأسها في حمص وريفها وغالبية المناطق الساخنة وبعد استهداف المقابر بسبب تحول جنازات الشهداء إلى مظاهرات غاضبة ضد النظام، أقيمت مقابر جديدة في مناطق بعيدة عن مرمى نار قوات النظام، وغالبا الدفن فيها مجانا، أما الجنازات فتقتصر على بعض المقربين جدا إن سمحت الظروف الأمنية أما في حال كان القصف والاشتباكات مستمرا فغالبا يقتصر على شخصين أو ثلاثة يتولون كل المهام من غسل وصلاة ودفن.

في المساحة الصغيرة والمكتظة المتبقية من دمشق حيث من الممكن للمدني أن يتحرك وسط طوفان تقريباً من وسائل النقل والمشاة، هناك ما يعادل هذا الاكتظاظ أيضاً في المقابر الدمشقية التي غصت بدورها بالأموات، وطالها كذلك ارتفاع الأسعار وأصبح جزء منها ضمن منظومة الفساد وتجارة الحرب.

وحين يكون الموت طبيعياً يصبح البحث عن قبر بالنسبة حدثاً اقتصادياً متعباً ومكلفاً هذا ما حدث مع صفوان.ر الذي توفيت خالته بشكل طبيعي "لم نجد قبراً بسعر أقل من مليون ونصف مليون ليرة سورية، مقبرة عائلتنا في دوما، ويتسحيل نقل الجثمان إلى هناك، بحثنا كثيراً عن حل قبل أن نسلمها لمكتب دفن الموتى الذي يتقاضى مبلغ عشرين ألف ليرة سورية فقط، ويدفن الجثمان في عدرا، لكن من دون شاهدة" يسمح المكتب لثلاثة أشخاص بحضور الدفن، بعد ذلك لا يحق لأحد أن يزور المدفن.

مقبرة عدرا هذه حديثة العهد، إذ أنشأتها محافظة دمشق لذوي الدخل المحدود على أرض مساحتها 80 دونماً، سعر القبر "الممتاز" تقول المحافظة مع كل التجهيزات والخدمات التي يقدمها مكتب دفن الموتى التابع لمحافظة دمشق يصل إلى نحو 20 ألف ليرة سورية فقط.

عائلات دمشق لا تزال تملك مدافنها، البعض منهم عمد إلى ما يمكن تسميته باستثمار المدفن، جاسم وهو عامل في مقبرة الدحداح يشرح هذا "تأتي عائلة لا تملك مدفن ولا تملك مالاً لشراء قبر جديد، ببساطة نقوم بفتح أحد القبور لإحدى العائلات بعد موافقتها طبعاً وندفن الجثمان، السعر يبدأ من خمسين إلى مئتي ألف ليرة سورية" المبدأ الأساسي في هذه العملية أن تكون آخر جثة دخلت القبر من ذات جنس الجثة الجديدة، فأن كان ذكر فهو ذكر وأنثى فهي أنثى وفق ما يسمح الشرع يقول جاسم "شرعاً لا يجوز فتح القبر قبل خمس سنوات على الأقل، لكن هناك استثناءات شرعية، رجال الدين أجمعوا اليوم على أن حالة البلاد والناس تسمح بهذه الاستثناءات".

مدفن باب صغير في حي الميدان الدمشقي

حسب محافظة دمشق لا يوجد هناك ما يسمى "سعر القبر" بل هناك فقط أجور تتقاضاها المحافظة لقاء الخدمات التي تقدمها، لكن السوق السوداء التي كانت قبل الثورة وازدهرت بعدها تظهر أن سعر القبر الواحد والذي يحفر بشكل غير معتمد رسمياً في مقابر دمشق، يصل إلى مليون ونصف مليون ليرة سورية.

لأن أي تجمع بشري ممنوع اليوم في دمشق نظراً للخشية من أي تحول هذا التجمع إلى مظاهرة ضد نظام الحكم، ولأن الجنازات وخيام العزاء هي تجمعات، فقد منع نصب خيم ومجالس العزاء في الطرقات كما اعتاد سكان المناطق الاكثر فقرا في العاصمة، بالنسبة للمقتدرين مالياً هناك صالات الأفراح والمناسبات والمنازل الكبيرة لتلقي المواساة، نصار شاب من الهامة يسكن دمشق يقول "لم نستطع استئجار صالة فقد كلفنا القبر كل ما معنا، عملياً لم نفتح مجلس لتلقي التعازي، البعض اتصل بنا بالهاتف وآخرون زارونا في أيام متباعدة، حتى الموت لا يزال سهلاً عند من يملكون المال، ومراً أكثر عند الفقراء".

في ريف دمشق تنتشر القبور التي لا تحمل اسماء من تحتضنهم، لا وقت لذلك ولا مال ولا آمان من قذيفة أو طائرة، أغلب الأهالي يحمدون اللّه ويعتبرون الميت محظوظاً إن خرجت له جنازة ترافقه خروجه الأخير من منزله إلى قبره، دمشق لا تزال تمتلك ميزة الموت الحافل، فيما لم تعرف مقابرها أي عمليات قصف، في الريف كل الريف الدمشقي تقريباً زارت المعارك المدافن ونبشت بعضاً منها.

المقابر في دمشق نشأت مع نشأة المدينة معظمها يتوسط مناطق حيوية ومكتظة كحي المهاجرين وشارع بغداد والمدينة القديمة، وهي مقابر تاريخية وأثرية تضم رفات مئات من الأولياء والشخصيات الدينية والتاريخية والثقافية المهمة على الصعيدين العربي والعالمي، اضافة إلى هذه هناك مقابر، كمقبرة "باب الصغير" التي تقع خلف باب الصغير.

ومقبرة الدحداح خلف "باب الفراديس"، وكذلك مقبرة "شيخ رسلان" خلف باب شرقي، فتعتبر هذه المقابر الثلاث هي المقابر الرئيسية في دمشق وأقدمها، ثم نشأت فيما بعد مقابر جديدة، باتجاه يساير التوسع العمراني لمدينة دمشق، فنجد في دمشق 33 مقبرة موزعة على مختلف الأحياء.

يذكر أنه السنوات الأخيرة تم تخصيص أرض كبيرة في إحدى ضواحي دمشق لإنشاء مقبرة؛ وهي "المقبرة الجنوبية الحديثة" في الحسينية، والتي تعرف باسم "مقبرة نجها"، وتبعد 13كم عن مركز دمشق، وذلك بسبب تزايد عدد الوفيات وعدم قدرة المقابر الموجودة على استيعابها، ويشرف على المقابر "مكتب دفن الموتى"، وهو مسؤول عن مقابر دمشق،وعن المدافن الخاصة والمقامات الموجودة فيها بالتعاون مع وزارة الأوقاف.

يبقى من دفن هو المحظوظ في بلاد اعتاد الناس فيها على الاعتقال والخطف، فبينما قد يصل خبر الموت إلى عائلة مفقود ما من دون القدرة على الحصول على الجثة، بإمكان العائلة التي قضى ولدها أو والدها الاستمتاع بنعمة مواراة الثرى، ورمي التراب الأخير على الراحل الجديد.

هل حربنا طائفية بين السنة والشيعة؟

■ سماح هدايا

" أن تبقى ضحية التاريخ، ولا تقاوم لتتعافى من تبعيتك وتصنع ذاتك والتاريخ؛ فهذا قرار بأن تكون ذليلا ضعيفا حاقدا على نفسك وناقما بسبب نقصك عل الآخرين. فتسوّغ تصاغرك وعجزك وإخفاقك بالمظلومية والثأرية وتآمر الأغيار عليك..

أنت الخاسر قبل اي أحد آخر..أما اللجوء لاضطهاد نفسك باللطم والتباكي وجلد الذات وتحطيم الآخر؛ فهو جزء من معاقبة نفسك على نقصانها وتخاذلها أمّا تعذيب الآخرين تحت مسمى الانتقام التاريخي؛ فلأنك ناقم، وتحس بالنقص والضآلة وتستمرىء المظلوميّة. وبغض النظر عن كل التسويغات؛ فإن العواقب المسؤول عنها دموية عليك وعلى غيرك.".

للاسف هذا حال كثيرين في واقعنا، من الذين يشنون الهجوم الشرس العنيف على المطالبين بالنهضة والحرية والكرامة والثائرين على الواقع وانسداد الأفق التاريخي. فليس هناك أبعد غورا في الباطل من المنافق والجبان الذليل.. ونحن كنا أغلقنا الباب علينا داخل مرحلة واسعة من تاريخنا.. ترسّخت تحت تصنيف الامتهان. وفجأة، من دون استعداد، هبّت الرياح وعصفت بالأبواب الموصدة وكشفت الستائر عن المخبوء الذي سكت الضمير عليه وعنه. واندلعت بوجه الثورات حروب طاحنة جاءت ردا ممنهجا على رياح التغيير التي لو استمر زحفها، ستسقط العروش الفاسدة الطاغية في بلادنا. فإذا نحن أمام ميراث فظيع من طائفية وعنصرية ورجعية، كانت تلونت وتتبطنت بأشكال كثيرة.. وإذ بعقل طائفي مستبد متوحش متواطئة معه شبكة من أنظمة عالمية يعملان للقضاء على مشروع التحرر والنهوض والاستقلال.

فهل حربنا هي حرب طائفية؟

حرب بين السّنة والشّيعة؟

بين الإسلام العربي والإسلام الفارسي؟

بين الأقليات المحتكرة للقرار وبين الإرهاب الإسلامي...

هل هي حرب قوميّة؟

بين العرب والفرس؟

أسئلة. والإجابات واضحة...لكن مازال من يرفض قبول الإجابات ويستنكر افتراض الأسئلة.

هي، حتما، حرب تحرّرية عقب ثورة الحرية والكرامة..وحرب مقابلة ضدها.. لكنّها، أيضا، حرب بين العرب والفرس. والدين أحد وجوهها. مثلما كانت حروب الفرنجة على العرب تحت مسمى الحروب المقدسة(الصليبيّة)، ومثلما مازالت مستمرّة بين الغرب والعرب والدين أحد وجوهها؛ إذ لا يمكن تبرير هجوم بربري شرس يقتل البشر بحرب إبادة وبمجازر فظيعة ويصنفهم بين أشرار وأخيار إلا بعصبيّة قوميّة ودينيّة وبشرعيّة عقائديّة وتشريع سياسي له مظلومية حقوقية.

لعل الأشد صدمة هو موقف عموم الأقليّات الدينيّة، من إسلامية وغير إسلاميّة، في الانحياز للاستبداد والطغيان بحجة الحياد والخوف من الإرهاب..كذلك تصعيد النزعات الانفصالية لدى الأقليات العرقيّة، بالإضافة إلى موقف أطياف الرماديين من جميع الفئات والمكونات، يتبع ذلك تخاذل الأنظمة السياسية الحاكمة التي تدّعي حماية العروبة والإسلام، وهي في مرمى الهجوم.. شعبيا وشعوبيا وقد تواطأ أكثرها مع الهجمة الدولية المعادية للثورات العربيّة بحجة الإرهاب؛ خوفا على عروشها.

عموم الأقليات وجموعها رفضت الثورة، حتى قبل أن يكون هناك قواعد للمتأسلمين المتطرفين

عراقيون يشيعون في النجف جثث مقاتلين من تنظيم عصائب اهل الحق قتلوا باشتباكات مع قوات المعارضة في السيدة زينب بدمشق (رويترز)

ولعصابات الإرهاب، بالتحديد، الطائفة العلويّة، فتقاعست عن نصرة الثورة السورية السلمية، وعمل منهم في التشبيح مع النظام ودعمه بحجة محاربة المندسين والخونة ثم الإرهابيين، متاغمين مع حمى الحرب العالمية على الإسلام (الإرهاب).. وليس الادّعاء بأنهم وقعوا بين نار النظام الذي يتحكم بهم وبين المتعصبين الإرهابيين مقبولا، فهم تحالفوا ضد شركائهم في الوطن، وراحوا يطالبون بأنواع من ثأر تاريخي عدائي، رافضين التخلي عن مكاسب استئثارهم بالسلطة؛ علما بأن الثورة في شعاراتها وحراكها، في مطلعها وفي أوج توقدها، مدّت يدها لهم، كذلك فعلت المعارضة.

النظام الأسدي لم يورّط أحدا؛ بل الجميع تورطوا معه في الحرب حتى لا يخسروا ما كان في أيديهم. والفقراء من الطوائف كانوا الأكثر تورطا بسبب جهلهم وحاجتهم للوظائف التي يعملون فيها على حساب الملايين الكثيرة من الشعب.

لكن:

لأجل من يحارب بشار؟ هل لطائفته؟ هل لإيران؟ هل لإسرائيل؟ هل لكل ذلك؟

حزب اللّه يسير بأمر إيران وهي عدو للعرب. الدولة الفارسية الصفويّة..

لمصلحة من كان ومازال يحارب المالكي. ولماذا ذبح حتى الشيعة الذين عارضوه في الجنوب؟

لماذا يأتي الحوثيون وغيرهم لقتال الأبرياء في سوريا؟

من المستفيد من هذه الحرب؟

ومن هم أعداء العرب؟ الفرس..؟ الغرب؟ الصهيونية؟ الصهيونية المسيحية اليهودية؟

إنها هي حرب احتلال للعقل والتاريخ والجغرافيا والإرادة. ولا يمكن اعتبار ما يجري في سوريا بالمطلق هو صراع سني مع الشيعة والعلويين والواقفين معهم. مع أن الذين يموتون سنة، والذين يجري قتلهم من السنة.. لكنها هي حرب تحررية. لذلك يجب إعادة النظر في المعركة ومصطلحاتها. فالثورة لما بدأت لم يكن هدفها هدر التعايش ولن يكون..

هدر التعايش برنامج سياسي منظم للاستقواء علينا وتحطيمنا.

ليس جذر المشكلة في ثورة سوريا وفي الحرب عليها وعلى أهلها، الصراع السّني أو الشيعي أو المسيحي أو العلوي.

إنه الصراع الاستعماري الأزلي الأبدي من منطلقات: عصبيّة الشيعي الفارسي. عصبية الغربي الصليبي. عصبية الصهيوني. عصبية السني الوهابي. عصبية الباطني الشعوبي...وأي ذبح في التاريخ كانت تدخل عليه قوى خارجية مستغلة الاقليات وبذرائع واهية.. هذا لا يبرئ جموع الأقليات ولا غير الأقليات. لكن من الواجب معرفة المشكلة لتعرّف النتيجة. الكل تدخلوا في المجتمع باسم الدين أو العرق.. حتى تركيا العثمانية، في الماضي، بنت إسلاما يناسبها وخطابا عقائديا برر لها الهيمنة..ويمكن ان يعاد الأمر من الجميع وفي أي وقت وتحت أي مسوّغ.

وجزء من المشكلة أنّ النّخبة العنصرية التي ترتدي العلمانية كرؤية عميقة لاتينية، تصر على اجتثاث الآخر وعلى إقصاء الفكر الإسلامي وتقزيم نفوذ المسلمين سياسيا واقتصاديا وفكريا. وفي المقابل، كجزء من لعبة التأزيم، جاء بناء قاعدة لا تقل وحشية وظلاميّة عن النظام الأسدي، تحت مسميات وتصنيفات إسلاميّة، وعبر أمراء حرب يستخدمون شعارات الإسلام ويتحركون وفق مخطط إرهابي دولي مدعوم من مخابرات وسلطات خفيّة، ويسير بتوجيه المتحكمين بالحرب وتجارتها، ليحاربوا مشروع التحرر والتنوير باسم محاربة ملة الكفر.

من الجلي أن مفهوم العروبة بمكونها الجوهري الإسلامي التعايشي الإنساني لا العنصري. والإسلام بمكونه الجوهري..لكن ليس الإسلام المنسوخ من المقابر أو من مضارب الوهابيين. ومعركة الأقليات هي الوقود لتشغيل التدخلات الخارجية وتمرير النزاع والتقسيم.. لذلك يجب إنهاء تموضعها السياسي: فكريا،عسكريا، اقتصاديا،، قبل بناء الدولة الديمقراطية، وإلا لن ينجح البناء الديمقراطي. بل سيجري الاعتداء على الشرعية الديمقراطية بحجة الخوف من الإسلاميين والإرهاب.

تضاءل اليقين بنجاح الثورات وعودتها إلى التوقّد والانتشار والتوسع؛ فيجمع أغلب المحللين على أن الثورات انتهت ودخلنا في حرب أهلية وانحراف واقتتال طائفي. لكن هذا الكلام غير دقيق، وليس مبنيا على التحليل الموضوعي. فالحرب الطائفية قائمة منذ أمد.. والآن جاء حسمها. وهي مرحلة جديدة للثورات العربية؛ فبعد الخروج وتكسير الصمت والسعي لإسقاط النظام. أصبحنا الآن في حرب لتحرير الذات والوطن وكسر منظومات راسخة رجعيّة وفاسدة.

إعادة الإعمار
سوريا بين الموت والتجارة

■ ياسر مرزوق

كتب فواز طرابلسي في الوريقات الأخيرة من دفاتر حصار بيروت، وتحت عنوان «جولة في شوارع بيروت »: «عادت إليها الجلبة المألوفة مضاعفة. زحمة مارة وسيارات. خرجت السيارات الضخمة من مخابئها. وقريباً ستظهر طبقة جديدة من أصحاب سيارات ال «ب. م» والمرسيدس. الباعة في كل مكان. المطاعم فتحت أبوابها. والإقبال منقطع النظير ز تكاثرت محلات العصير و» الفليبرز «ولسبب ما، فهي الأكثر إصراراً على تعليق الأعلام وصور الرؤساء. كبرت أضواء النيون والإعلانات، الناس مصابة بشبق استهلاكي. كثرت الصرعات. والأزياء أكثر غرابة ولحاقاً بآخر موضة.

البوتيكات تنمو كالفطر.بوتيكات على عدد ما سقط من شهداء بوتيك لكل شهيد، ترى. ما لعلاقة بين الموت والتجارة؟

و»أوجيه ليبان» أكبر حزب في بيروت.. تزيل الأنقاض وتنظف البلد.. مبارك الآتي باسم النفط.. وتجدك كمن يخرج من حلم أو كمن اكتشف فجأة أنه في طريقه إلى فقد النظر.. الوطن.. أين هو..وتحاول جاهداً أن تستذكر وجهاً أليفاً، في أدق ملامحه. والحال لست أنت الذي تغشى بصره الغشاوة ز هو الوطن أشبه بجريح طمر حياً، يئن ويحرك أطرافه تحت الأنقاض.

وترنو من بعد هذا الأمل المطمور. هذا الأمل بالوطن وبالتغيير، من سيرفع هذه الأنقاض ومتى..».

العلاقة بين الموت والتجارة هو ما سنبحثه في ملفنا اليوم، فاستمرار الحرب العبثية في سوريا وهذا الحجم من القتل والدمار الذي لم تشهده البشرية منذ الحرب العالمية الثانية وتقاعس المجتمع الدولي عن إيجاد حل أو تسوية، يدعونا لتفكير في الأسباب الكامنة وراء استمرار هذا النزف والتي على رأسها ما يتم تداوله حول إعادة إعمار سوريا أن عوائد الخطط الموضوعة لهذا الأمر، فمن خلال استطلاع للصحف العربية والأجنبية قل ما يغيب موضوع إعادة الإعمار و التكاليف و المدة الزمنية التي تتطلبها إعادة إعمار ما تهدم من سوريا، أو سوريا برمتها بنيتها التحتية واقتصادها. وهي عملية تسيل لعاب الشركات العابرة للقارات والتي بدأت تعد الخطط والمشاريع منذ الرصاصة الأولى في عمر الثورة السورية، كما تسيل لعاب الحكومات التي وقفت تتفرج على حمام الدم السوري وتغذيه وتدفع شيطان الهدم والدمار للأمام وبقوة.

مع غياب الإرادة الدولية في حسم الصراع لصالح أي طرفٍ كان، وبغياب الحل السياسي، بقي الطريق مفتوحاً أمام الحرب التي باتت تتمدد على الجغرافيا السورية وباستثناء حلب لحق الدمار العشوائيات والمناطق الفقيرة في الأغلب ربما تمهيداً لإعادة بناءها وبيعها لمن يملك الدولارات فيما بعد.

تأتي مرحلة إعادة الإعمار بعد مرحلة كثر فيها الخراب والدمار، وخاصة بعد حروب داخلية أو اجتياح خارجي. يشمل الدمار عادة البنى التحتية كما الممتلكات العامة والخاصة وقطاعات الإنتاج. ويصل التدمير الممنهج في بعض الحروب إلى تدمير القدرات البشرية المتطورة خصوصاً، بهدف إقصاء الشعوب وشل مقاومتها، كما لمنع أو إعاقة نموها مستقبلاً وأسرها في إطار التخلف والعجز. أمثلة على ذلك استهداف الاجتياح النازي في شرق أوروبا أصحاب الكفاءات العلمية والسياسية، لإبقاء الشعوب السلافية منتجة للأغذية فقط، ولمصلحة الشعوب الآرية. كما استهدف الاجتياح الأميركي للعراق تدمير قطاعي الصناعة والزراعة وتسميم الأرض بإشاعات اليورانيوم. والقضاء على جيل من العلماء وأساتذة الجامعات، بهدف «إرجاع العراق إلى العصر الحجري» كما صرح الرئيس الأمريكي بوش في حينه.

ولعل النموذج الأقرب لعلاقة الموت بالتجارة كان حين توافقت قوى عالمية واقليمية على ابتكار الحل للأزمة اللبنانية بإنهاء الحرب كان اتفاق الطائف الذي أبلغ الأطراف المتقاتلين بأن قرار قفل الملف اللبناني اتخذ، وان ثمة مناطق أخرى في المنطقة تمضي إلى السخونة، وهي أكثر أهمية استراتيجياً. التزم كل الأطراف، وبدأوا يسلمون سلاحهم أو يبيعونه أو يخزّنون ما بقي منه في مستودعات. اتفق السوريون مع أعدائهم الأميركيين، فاجتاحوا القصر الرئاسي في بعبدا، واحتلّوا وزارة الدفاع، وقتلوا من قتلوا من ضباط وجنود. بدت الأمور ممسوكة، رغم انها لم تكن متماسكة.

وتحتاج مرحلة إعادة الإعمار إلى قرار سياسي من القوة الحاكمة، داخلية كانت أم خارجية. فقرار إعادة الإعمار في الإتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الأولى، كما بعد الحرب العالمية الثانية، كان قراراً داخلياً في إطار الحصار الخارجي من مراكز النظام الرأسمالي العالمي، وبالتالي كانت إعادة الإعمار تعتمد على الموارد المادية والبشرية المتاحة داخلياً فقط. أما إعادة بناء المانيا الغربية وكوريا الجنوبية واليابان بعد الحرب العالمية الثانية، فكان قراراً من المحتل الأميركي لدواعي استراتيجية اميركية في إطار الصراع ضد المعسكر الاشتراكي، وتقرر القوة الحاكمة أو المنتصرة في الصراع بشكل أساسي، سياسات إعادة الإعمار. وتعني هذه السياسات تحديد الأهداف النهائية والوسيطة لإعادة الإعمار، كما وسائل إعادة الإعمار ومصادر التمويل المتاحة الداخلية والخارجية.

كما تحتاج إعادة الإعمار بالدرجة الأولى للمصالحة الوطنية ركيزةً لأي خطة مرتقبة فمع بدايات الربيع العربي في تونس ومصر توجه الراحل « نيلسون مانديلا « برسالة للثوار العرب، قدم فيها استنتاجات لما مرت به بلاده جنوب إفريقيا، في المرحلة الانتقالية التي تلت نظام الفصل العنصري، المرحلة الانتقالية التي قادها مانديلا، وهو الشخصية الوطنية الحكيمة، ينصح الثوار العرب بالاستفادة منها، إذ يقول: « إن الاتجاه العام عندكم يميل إلى استثناء وتبكيت كل من كانت له صلة قريبة أو بعيدة بالأنظمة السابقة. ذاك أمر خاطئ، في نظري». ثم يُضيف: «مؤيدو النظام السابق كانوا يسيطرون على المال العام، وعلى مفاصل الأمن والدولة وعلاقات البلاد مع الخارج، فاستهدافهم قد يدفعهم إلى أن يكون هدفهم إجهاض الثورة، إضافة إلى أن أنصار النظام السابق ممسكون بمعظم المؤسسات الاقتصادية التي قد يشكل استهدافها أو غيابها أو تحييدها كارثة اقتصادية، أو عدم توازن، أنتم في غنى عنه الآن «.

يرى محللون سياسيون وخبراء اقتصاديون أنّ ما لم يستطع البارود إرساءه في سوريا طوال ثلاثة أعوام، ربما يستطيع تثبيته الاقتصاد اللاحق محمولاً على مشروع «مارشال سوري»، ليتم عبره استكمال «إحراق سوريا من الداخل «, فبينما تستمر المعركة المحتدمة على الأرض لتسجّل خلال الأسبوعين الماضيين أعلى درجات تصعيدها، يبدو أن مشروعاً اقتصادياً جديداً يُصاغ لسوريا جديدة. صياغة تجري بأقل ما يمكن من العلنية وبأدق التفاصيل، إنها خطة إعادة إعمار سوريا وفقاً لوصفات الأم الرؤوم لشعوب العالم الثالث «البنك الدولي «. وإذا كان طرح أقسام عريضة من المعارضة السورية ومن النظام، قد تميّز خلال كامل الأزمة السورية بغياب أو إخفاء الرؤية الاقتصادية لسوريا ما بعد الأزمة، الأمر الذي جرى تبريره مراراً بكون المسألة الاقتصادية ثانوية أمام المؤامرة الكونية من جهة، وأمام الاستبداد الوحشي من جهة أخرى.

اليوم تستكمل القوى والأطراف المتصارعة على السلطة في سوريا صياغة الآليات والأدوات التي تمكّنها من السيطرة على مقدرات الشعب السوري. يبدوا أن إعادة تشكيل الهوية السورية: سلطة، دولة ومجتمع تشكّل أحد الهواجس الدولية، وتحديداً تلك الأطراف التي يسيل لعابها على الاستثمار والتوظيف والسيطرة، لحظة انقشاع غبار الصراع الذي يدمّر سوريا والسوريين.

ولا نبالغ بقولنا إنّ الصراع لن يتوقف إلا بعد توصّل الأطراف التي تشرف على القتال وتضبط آلياته وحدوده إلى صياغات وتوافقات تمكّنها من تحديد مستقبل سوريا السياسي وهويتها الاقتصادية، وتحديد حصص وآليات نهب الثروات العامة، وبشكل خاص الأراضي والموارد الطبيعية، إضافة إلى التوافق على تقاسم عقود إعادة الإعمار، التي تشكّل أحد أبرز المداخل للقبض على مستقبل سوريا الاقتصادي والسياسي.

ولم يعد خافياً أنّ منظمات وهيئات دولية مثل: صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، الإسكوا، المركز السوري للدراسات السياسية والاستراتيجية، مجموعة عمل اقتصاد سوريا في المجلس الوطني، المركز العربي للدراسات السياسية والاستراتيجية برعاية الدوحة، بيت الخبرة السوري وبيوتات استشارية ورجال أعمال عرب وسوريين ودوليين تتسابق على الظفر بعقود إعادة الإعمار. والجميع يعلم أنّ هذه المؤسسات لا يعنيها من الصراع إلا الاستثمار والربح.

رؤية النظام

بإمكاننا القول إن أبرز مظاهر الاستبداد في سوريا هو العلاقة المعكوسة بين الحاكم والمحكومين قياساً إلى المبدأ الديمقراطي، إن الحاكم في النظام السوري يختار شعبة ويغيره ويحاسبه ويعاقبه على هواه بدلاً من أن يكون الشعب هو الذي يختار حكامه ويحاسبهم ويغيرهم ويعاقبهم، وهذا الجبروت القاهر للسلطة والدولة لا يرتكز فقط على توسع قطاع الدولة بل يمد جذوره في ركيزتين اثنتين: القوة العسكرية والسيطرة على المال العام، فتركز قوة عسكرية جبارة في يد النظام، تراكمت بسبب الصراع العربي الاسرائيلي المزعوم مما أخل بالتوازن بين الحاكم والشعب والسلطة والمعارضة وليس أدل على ذلك ما يمارسه جيش النظام المهزوم دائماً أمام الاعتداءات الاسرائيلية إلا أنه يملك القوة الكافية لأسداء الموت والدمار لشعبه.

أما الركيزة الثانية فهي السيطرة المشخصنة والمباشرة للنظام والعائلة على الموارد والثروات الطبيعية والمالية العامة والموازنة، وبخاصة سيطرته على الريوع النفطية أو الريوع السياسية والاستراتيجية، أي المساعدات الاقتصادية من الدول النفطية العربية.

وتثير الحالة السورية سؤالاً ملحاً من يمول من، فقد كتب كثيرون عن النظام الضريبي بما هو ركيزة أساسية من ركائز الحياة الديمقراطية ونعني بذلك مبدأ « لا ضريبة بدون تمثيل «، هنا أيضاً تبدو الآية معكوسة بالنسبة لسوريا بحيث يمكن القول من دون مبالغة، أنه بدلاً من أن يكون الشعب هو الذي يمول الحاكم من خلال سيطرته على المال العام والخزينة والموازنة، فإن الحاكم هو الذي يمول بعض الخدمات والأعطيات لشعبه من خلال سيطرته بل وامتلاكه الثوة الوطنية والمال العام والموازنة والتصرف بها على أنها أموال خاصة، وليس صدفةً أن توضع عائدات النفط في سوريا وطيلة عقود تحت تصرف رئاسة الجمهورية.

رأس النظام اليوم يهلل بالانتصار ويخبر زواره بأن العمليات العسكرية ستنتهي خلال عام وسوريا ستبقى تحت رئاسته، وقد أبلغ وفداً من القيادات الأردنية زار دمشق مؤخرا بأنه سيباشر بعد الانتهاء من كل الفعاليات العسكرية بمشروع شامل لإعمار سوريا مشددا على أن الشركات الأمريكية والغربية والخليجية لن يكون لها دور إطلاقا من أي نوع في هذا المشروع.

وتحدث الأسد عن مشروع عملاق لإعادة إعمار سوريا بعيداً حتى عن الحلفاء السياسيين مشيراً لأن شركات سورية في قطاع المقاولات المتعددة ستكلف تماما بإعادة الإعمار التي ستكون كما قال وطنية وسورية بالكامل وبهدف إنهاض الطبقة الوسطة وتفعيل الاقتصاد السوري، وبالتزامن مع تصريحات رأس النظام عاد للواجهة رامي مخلوف رجل الأعمال السوري وابن خال رأس النظام والذي أثار السخرية في بدايات الثورة عندما صرح باعتزاله العمل الاقتصادي والتوجه للأعمال الخيرية، لتتبوأ شركاته الصدارة في عملية إعادة إعمار سوريا والتي كان لها الدور الأكبر في خرابها وكأن ساعة الزمن تعود للوراء..

وتتناقض تصريحات رأس النظام مع تصريح المستشار الروسي بوغدانوف لصحيفة الحياة الذي هزأ من الانتخابات الرئاسية وأفاد بأنها لن تغير شيئاً في الواقع السوري، كما تتناقض مع تصريحات رئيس الوزراء وائل الحلقي الذي شدد على أن إعادة الإعمار ستكون من حق الشركات الروسية والصينية والايرانية، ولعل النظام بتصريحاته المتناقضة مازال يعيش وهم الشرعية والسيادة التي باعها لإيران وروسيا،

حمص | حي جورة الشياح | نيسان 2014

وما تصريحات المسؤولين الإيرانيين الأخيرة بأن النظام ماكان ليصمد من دون مساعدة إيران أسبوعاً واحداً إلا تأكيد على شرعية الوهم التي يعيشها النظام حتى يومنا هذا.

أرقام

إضافةً للقتلى والجرحى والمهجرين، تكبدت سوريا خسائر اقتصادية فادحة جاوزت تسعين مليار دولار في مطلع عام 2014 وثمة نوعان من الخسائر تلك المتعلقة بفقدان الانتاجية وانكماش الاقتصاد، وتقدر قيمتها بـ30 مليار إلى 35 مليار دولار، وتلك المتعلقة بالدمار والخراب وتقدر قيمتها بـ50 إلى 60 مليار دولار، وقد بلغت قيمة فقدان الانتاجية 20 مليار دولار منها 9 مليار من قطاع السياحة، ومليارات من تحويلات المغتربين، والباقي نتيجة تعطيل الصناعة والبناء والخدمات والتجارة، أما الدمار والخراب فقد توزعت قيمته حسب المدن والمناطق كالتالي: محافظة حلب من 6 إلى 8 مليار دولار مرشحة للازدياد يومياً بسبب التدمير الممنهج للمدينة، محافظة حمص من 10 إلى 11 مليار، محافظة دمشق من 12 مليار إلى 14 مليار دولار، محافظة إدلب من 3 إلى 4 مليار دولار، محافظة حماه من 4إلى 5 مليار دولار، محافظة دير الزور 3 مليارات دولار، محافظة الحسكة مليار دولار، محافظة درعا 3 مليار دولار، محافظة اللاذقية 200 مليون دولار.

كما تشير الأرقام إلى « ٪78 من السوريين باتوا تحت خط الفقر الأعلى، و٪19 تحت خط الفقر الغذائي «، و نسبة البطالة ستصل إلى ٪44.5 مع مطالع عام 2014. الدين العام زاد من ٪26 إلى ٪65.والقطاع الصناعي خسر 237 مليار ليرة، لتتراجع مساهمته في الناتج المحلي إلى أقل من ٪5 كما خسرت في قطاع التجارة 100 مليار، وفي قطاع الخدمات الحكومية 155 مليار[1]. أما في القطاع النفطي، فقد تقلصت مساهمته وعائداته للحدود الصفرية، حيث تراجع إنتاج سوريا من النفط بنسبة ٪95 وإنتاجها من الغاز تراجع إلى ٪50. هذا بالعام،

كما تشير الأرقام أن خسائر قطاع البناء في سوريا وصلت إلى 526 مليار ليرة، فقطاع السكن من أكثر قطاعات الاقتصاد السوري تضرراً، حيث أثر استخدام المدن كساحات للقتال بشكل كبير على قطاع الإسكان والبنية التحتية، فما تهدم حتى الآن وصل إلى ما يقارب من 1.5 مليون منزل في سوريا، منها 315 ألف دمر بالكامل، و300 ألف تضرر جزئياً، والبقية تضررت بشكل جزئي مع تدمير البنية التحتية « المياه والكهرباء والصرف الصحي «.ووصل حجم المتأثرين بالدمار بين6 و7 مليون سوري، منهم 3 ملايين اضطروا للنزوح وفقد مليون ممتلكاتهم بشكل كامل،

كما أن «لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا» تحققت من أن الحرب ألحقت أضراراً باقتصاد البلاد تصل إلى 60 مليار دولار. وأن إعادة البناء تتطلب، حسب خطة قدمت للحكومة السورية، 22 مليار دولار للمنازل و6 مليارات للبنية التحتية واستقدام 40 في المئة من العمالة المطلوبة. ورأى أن توفير المبالغ المطلوبة يمكن أن يتم عبر الاقتراض من الصناديق الدولية التي عادة ما تفرض شروطاً تكون مدمرة لاقتصاديات الدول النامية.

وقد بين خبراء اقتصاديون، أنه لغاية تاريخه لا يوجد رقم محدد وموثوق أو معتمد رسميا أو متفق عليه للتكاليف المادية لعملية إعادة الإعمار في سورية، مؤكدين أن الأضرار والخسائر تتزايد كل يوم بمبالغ كبيرة طالما الازمة مستمرة ولم تنتهِ، علماً أن التقديرات التي يتم الحديث عنها تتراوح بين 80 و 220 مليار دولار.

وبين الاقتصاديون، أن التكهنات لإنجاز عملية إعادة الاعمار بين 5-15 سنة، إلا أنه لم يتم الغوص بتكلفة الاضرار البشرية والاجتماعية والنفسية بسبب هولها وضخامتها، الرقم الذي تضمن بعض الاضرار غير المباشرة والبالغ 608 مليار دولار، كما أن حجم التكاليف المادية لإعادة الاعمار يقدر بنحو 165 مليار دولار أي ما يعادل موازنة سورية لـ 18 سنة مقارنة مع تقديرات نهاية 2012 والتي تشير إلى مبلغ 80 مليار دولار ما يعني ان حجم الاضرار المادية للأشهر الـ 12 الأخيرة هو 68 مليار دولار بمتوسط تكلفة شهرية لإعادة الاعمار تعادل حوالي 5.66 مليار دولار وبالتالي كل شهر يمر دون ان تنتهي الازمة تتضخم فيه تكلفة اعادة الاعمار بمقدار هذا المبلغ 29.2 مليار ليرة يوميا.

عن رؤية المعارضة

إن غياب المشروع الاقتصادي الواضح للمعارضة السورية وغياب الرؤية الخاصة باستثناء اعتماد مبادرات صندوق النقد الدولي كوصفات جاهزة هو موضوع ستبحثه في ملفٍ منفصل لكن تنبغي الإشارة إلى أن المعارضة يجب أن تعترف بأنه لاحظ لمسار ديمقراطي في عالمنا العربي من دون ضرب ركائز الاستبداد بواسطة إجراءين لابد منهما:

- تحييد القوات المسلحة عن أي دور في الضبط الاجتماعي والسياسي.
- تحقيق السيطرة والسيادة الشعبيتين على الموارد والثروات الوطنية.

حمص سلام عليك من قبل ومن بعد

■ الياس س الياس

حمص في سيرتها الأولى: صورة الموت صمتا..

هي حمص.. في مشهدها الأول تهز وعينا وتشجذب تشوش سقف لغتنا.. هناك، كانت أقدام ذلك الجيل « الطلائعي» و « الشبيبي» تركل صنمية المشهد وتفجر ينابيع القهر فوق نادي الضباط.. هو مشهدها الذي لبى نداء سوريا المنطلق من سهول حوران، مشهد اهتزاز عرش طغاة كانوا يظنون أن أعراض حماة أصابت جنبات سوريا صمتا أبدا في مملكة الرعب.. هو المشهد الجالب تاليا لموت ودمار منكران في عقل الانكار المستمر رياءا وكذبا حتى الأمس القريب، إذ يقف مندوب الوريث في الأمم المتحدة ليخبرنا ذات الرواية: في حمص هناك ألفي ارهابي أجنبي لم يسلموا أنفسهم.. حمص في عقل المزرعة هي ككل سوريا.. ليس فيها سوريون يتجرأون على حاكم أبدي « يحبه شعبه حد العبادة»! كل سوريا بالنسبة لعقل المزرعة ليست سوى « أوكار ارهابيين» وجب قتلهم.. لترتفع يافطة فوق ركام المدن معلنة انتصار « حماة الديار» عليها وعلى شعبها.. ليس الساروت بسوري.. كما لم يكن نجاتي طيارة كذلك ولم يكن هؤلاء « حماصنة» حين اعتلوا صورة الصنمية مبتدئين رحلة الخلاص.. كل صورة ومشهد فيهما « اندساس، فبركة وحبوب هلوسة ورشة من رذاذ ماء مخلوط بمهيج»! فهي صورة « قناة الدنيا» تكشف « المستور» من أمام الجند وشبه الجند، تجول عدستها باحثة لنقل صوت زقزقة العصافير، وشمس نيسان ترسل خيوطها كسلا وتفتح أزهار وصوت بائع متجول وآخر مشتر لخردة تشبه خردة « حماة الديار» وهم ينهبون على سيارات بنمرة « الجيش» ما وصلت إليه أحذيتهم في «تحرير بيوت السوريين منهم».. أرتال تشبه تلك العائدة بانتصارات كبرى في لبنان.. باردات وغسالات و مراوح و سيارات أعجبت « المعلم».. شارات النصر تشبه تلك التي عرفناها رتلا قادما من التماعة، التي بالكاد سمع عنها جندي سوري غر وزعوه على عجل يدلقون فوق رأسه الحليق: أنت تحارب هنا طغاعا عن الوطن الغالي بوجه الصهاينة.. ولإن هذا الجندي لا يملك حتى بوصلة أو خارطة قراءة تضاريس اتجاهاته فقد كانت السيارات المنهوبة فوق سيارات « الجيش» غنيمة يصفق لها جمهور يصطف على جانب الطريق مصفقا لفتوحات « بواسله» تنهب حتى دراجة هوائية لطفل لا يعرف ذنبه.. في حمص التي أبكت السوريين ضحكا عليها وخادعت الغزاة بمياهها التي أرعبت مغول ذلك العصر وهذا، كان للصورة أن تموت حيث ماتت صورة حماة.. وفي حمص لا شيء يستدعي سوى المزيد من ذلك السؤال التهكمي السابق للسحل والقنص من فوق كل مؤسسة حكومية ومن فوهات مدرعات لم تضل طريقها منذ هزيمة حزيران٦٧: بدكن حرية؟ اعطيهن حرية.. هاي منشان شو؟ هاي منشان الحرية.. وقد نسي هؤلاء كذبتهم « وحدة حرية اشتراكية».. في غفلة من زمن آخر اكتشفوا بأن رطانة البعث كانت كارثية، فكيف علمناهم أن الحرية هدف أسمى؟ كيف لم ننتبه إلى حفر مزيد من الخنادق بين السوريين أحقادا ريفية ومدينية و لم نعمق الجرف الطائفي بما يكفي؟.. وكيف لم ننتبه بأن رامي وحده غير كاف لنهبنا باسم اشتراكيتنا التي تترك للناس عشوائياتهم وتحضر من لندن حتى « تورتة عيد ميلاد حافظ الوريث القادم».. فالصورة يجب أن تموت إذا قبل أن تنتظر.. فلتبقى مشوشة ولنزدها حقن كذب يندلق على رؤوس جمهور لم يعرف من سوريا وتاريخها سوى « سوريا الأسد».. علم الاستقلال السوري الذي كانت ذات الدولة تحتفي به طابعا بريديا وفي مسلسلاتها المصدرة حتى إلى الخليج المتآمر كباب الحارة، يمكن أن نحوله إلى علم استعمار.. فسوريا لم تكن سوريا.. ولم يكن فيها عرب وعروبة ولا مسيح ومسيحيين ولا إسلام ومسلمين ولا كرد ودروز واشوريين وسريان قبل أن يعتلي « القائد الخالد» ظهر ها انقلابا وباستيلاته يشغلها بالصفع والركل والشنق كل من كان عقله يشتغل خارج حدود ذلك الزمن المحدد بولاية حافظ.. حافظ الذي يحكم من قبره بصورة طفله المشوه وتحوله إلى قتل تسلسلي قبل أن يجلس القرفصاء مداعبا كرم.. وإن استبدلوا تماثيله بحذاء عسكري نصبوه على رؤوسهم قبل بوابات وساحات المدن الآيلة نحو أكوام اسمنت مطحون ولحم بشر متداخل بكل ما تلقيه عبقرية حماية الأوطان ببراميل الخردة تعجن الأجساد.. وفي السيرة الأولى لم تكن حمص سورية.. ولم تكن بانياس ودوما وحرستا.. لم تكن صور الناس تحمل شعاراتها وتخفي وجوهها من عسس النهار والليل سوى مادة للتندر.. تقول لهؤلاء المؤجرون عقولهم: راقبوا كيف أنهم يحملون بالمقلوب شعاراتهم.. إنها إلى الوراء.. انظروا هذه الصور التي تهتز.. لكنهم لم يروا لتلك العقول عن المواجهة بين ملتقط الصورة وقناص تخرق رصاصاته قلب حامل الهاتف أو الكاميرا البسيطة.. كل الرواية أن تغيب الصورة وأن يشكك السوري بأن ما يراه أمامه من هروات وعصي موظفي دولته يهرولون ويصوبون نحو بني وطنهم ليس وى « فبركة»، وحين يسقط شهيد لابد أن ينكشف اسمه السوري وليس الأجنبي ما استدعى توقيع يعترف بأن من قتله عصابات مسلحة.. هي السيرة التي لم تمر كالسهم في الذاكرة.. استوطنتها وترسبت حتى لو ازدادت اللوحة تشويشا..

لا شيء في حمص يستدعي الجلبة.. لا شيء يشبه حتى مطر دمشق المحتقن به.. لا شيء يستدعي أن تصرخ الضحية من هول مشهد مدرعة تثقب أجساد شباب سوريا وطفل يسقط مضرجا بطلقات مدرعة فوهتها شمالا نحو صبية في ملابس بيضاء في شارع من شوارعها.. وبعد عام كنا نسمع صرخة حسن نصر الله: مافي شي بحمص.. مثل العادة شوية رصاص.. ولم يقل حسن على من يُطلق الرصاص ولما.. هم لا يستحقون حتى ذكر وجودهم.. هم ليسوا أكثر من « متآمرين» يرفعون في باب السباع « علم اسرائيل»!

تلك بعض من أعراض أمراضهم، لا يتخيلون أن يكون «جيل الطلائع» هو من يركل بقدمه صور « الأب القائد الخالد» يلعنونه ببركان ينفجر مصيبا المورث والوريث وكل تلك التركة المبنية على كذبة كبرى..» سوريا الأسد».. هي « سوريا الخديعة الكبرى» التي أماطت اللثام عن قبح ما خبأه ذلك الذي يحمل آلة التصوير ليعرض على السوريين كيف أن باب السباع « مغرم بإسرائيل» ليرفع علمها فيه.. قبل لحظات من انكشاف غرام اسرائيل نفسها بوريث باركته وهو يتفلسف بشعارات لا يفقه أكثرها.. معاداة لفظية وحرب بسيوف خشبية فضح جوهرها شيمون بيريز أخيرا.. نعم، باب السباع التي لم نكن نعرف عنها الكثير راح إعلام الوريث يقدمها إلى باقي السوريين على ما قدمها وهو ينظر لورطته تتعمق كلما أراد إقناعهم بالمؤامرة الكونية.. وقد نسي البعض، بعض من رأى في الثورة حالة منكرة، بأن السيارة الاسرائيلية المستقدمة لاحقا إلى القصير برجال حسن نصر الله ما كانت تريد سوى توكيد الصورة الأولى عن باب السباع وبابا عمرو لاحقا بكل ما حملته من هلوسات الأنفاق والكوماندوس الغربي الذي بشرنا به حاقد يدعى اليسارية كنزار نيوف قبل أن تفضحه كل ينابيع الحكايات عن سوريا التي يعرفها من ثقب طائفي مريض ليس إلا.. وقد ساهم هو وأمثاله بكل ذلك الهرج الذي مورس بحق السوريين وتشكيك بكل صورة وكل عملية سحل وقتل ليبدو سراق ولصوص « حماة الديار» ليسوا سراقا ولصوصا ومرتزقة ينهبون مواطنيهم بثكنات تحيط بحمص كما تحيط معسكرات احتلال صهيوني بمدن محتلة..

وقبل المشهد الثاني كان « الجنود البواسل» يتبارزون فيمن يُنطق السوري بألوهية بشار.. صفعة تدمي الفم المطلوب منه أن يردد: لا اله الا بشار.. مجيب على أمر صارم لعقل كسيح: قل لا اله إلا بشار ولاك.. ثم زيد عليه ماهر بسؤال: مين ربك ولاك؟ مشهد لا يستدعي كل هذه الجلبة ولا صرخات الضحية وطلبه الحرية والكرامة.. هو مشهد بالأصل مُتخيل في عقولنا المتآمرة.. سواء كنا سوريين أم غير ذلك.. نحن مثل النشرة الجوية لقناة العربية.. نخص حمص بنسب رطوبة ودرجة حرارة ملغومة كمباراة برشلونة وتمريره الكرة كشيفرة من ضمن المؤامرة الكونية ل٨٨ دولة! مشهدنا واضح.. بخس الثمن.. ألفا ليرة سورية وفي بعض الحالات مضاف إليها رشة هلوسة في سندويشة توزع على مئات الآلاف، الذين بالتأكيد صورهم مفبركة وحتى وهم يختنقون بدمهم النازف بعد اصطياد قناص لهم من على سقف محكمة أو « مول تجاري» يتجول فيه مشترون ليشهدوا بأن كل شيء أمن وأمان.. نتحول في تلك إلى «مسوخ» لا تستحق سوى صرخات هيستيريا « الدعس تحت أحذية حماة الديار» ورجاءات للرب بشار أن ينزل المزيد من حماة الديار التي حدد مهمتها ذلك المهرج الذي ظن نفسه بالفعل مفكر..

حمص لم تكن سوى درس آخر في بداية انكشاف همجية وبدائية العقل المُنتعل بحذاء العسكر وخفافات رياضية بيضاء تتزنر صدورها بمخازن رشاش روسي.. بضعة لكمات لوالدة ووالد مالك جندلي كفيلة بايصال الرسالة عن حضارة « سوريا الأسد» فمن حمص نفسها ستنطلق قافلة الهمجية تبحث عن أنامل علي فرزات وحنجرة القاشوش وعين ناقل الصورة وأنامل ذلك الطبيب والممرض جثث مشوهة ترمى على قارعة طريق وشريط مسرب يبين أي جرف يحفره في أخاديد مجتمع سوريا المحاصر بالثكنات العسكرية ومجتاح بأفرع أمنية.. ثم سألوه: لماذا حملت سلاحك لتحارب « حماة الديار»؟ ولماذا انشققت عنهم؟ ألأجل سيارة وامتياز؟.. نسوا أنهم كانوا يتغنون بأبيات شاعرهم مظفر النواب.. فهذا الشعب في نظرهم أقل قيمة حتى من النملة التي تعتز بثقب الأرض.. وأقل حتى من الكلبة التي تحرس نطفتها.. هو ليس أكثر من شعب آلي تتحرك يداه مصفقة وقبضته تقلد ملقنها في حماسة « بالروح بالدم نفديك يا أسد».. هو شعب زائد عن الحياة في « سوريا الأسد».. التي سنكتشف لاحقا بأن كل قطرة ماء و حبة دواء ومقعد دراسي ما كانت لتكون في سوريا لولا آل الأسد.. منة ومكرمة منهم.. وليست حقوق مواطنين على دولتهم منذ تأسست قبل وبعد الاحتلال الفرنساوي.. هذه ليست بلاد الحضارة ولا التاريخ.. هي مزرعة صنعتها وبنتها صدفة ولود « بانيها الأول حافظ» آتيا بكل ما انجبته القرداحة لتكون على مقاسه.. وإلا فلن تكون.. وكم نسي هؤلاء ما مر بتاريخ سوريا وغيرها.. آفاقون كثر مروا وبقيت تمد لهم لسانها يحملون إلى أكوام قمامة التاريخ يلعنهم..

مشهد ثان: مناجاة عجوز لأمه

حمص التي لم يصدق معاتيه يسار طفولي وحاقد بمثل حقد أي مريض بالشعارات بأن الصورة منها، صورة ذلك الرجل الذي يكبر جنود « حماة الديار» يمارسون الركل بأحذيتهم العسكرية على وجه رجل سوري غير قادرين على اجباره أن يناجي ربه وأمه بالعبرية وبلكنة غير الحمصية.. فهؤلاء « جنود قدس أقداس سوريا» لا يمكنهم أن يكونوا كذلك.. فهكذا كان يشيع بوضاعة ذلك الرهط الشبيه بنزار نيوف وعقده النفسية في تلك الأنا المتورمة حد الانفجار وهو يتصيد أخطاء شعبه ليقدمها وزيادة عليها بأمثال معاتيه نبيل فياض ليرووا لنا نحن العرب بأن سوريا فيها « قدس أقداس» من جنود بشار وابيه من قبله.. وفيها شعب « متآمر».. شعب يتربص فقط لقتل من يشبه نضال جنود..

مشهد ثالث: طل الملوحي ليست حمصية، بل ليست بصبية

طل الملوحي ليست سوى ما قالته بشرى كنفاني عنها إذا.. وكل الخصي البادي كلاما وشعارات عن حقوق المرأة التي مارسها أمثال هؤلاء المرهفين في باريس ولندن ودمشق لا تشمل صبية حمصية ولا رجل حمصي.. لا تشمل ما قاله « رب قدس أقداس نيوف» عن نساء حوران وعن رجالها وعن الرستن ودوما

وعربين وحرستا.. لذا ليس غريبا أننا شهدنا الخصي متزواجا بنفاق وتملق لذات « العدو» الذي يخاف أمثال نيوف أن ينساه شعب سوريا ويشغل « قيادتها» عنه.. فرامي مخلوف لا يحتاج لرفع علم اسرائيل في القرداحة ولا فوق سيرياتيل ليعلن ما أعلنه عن تلازم أمن سوريا بأمن دولة اسرائيل.. بينما باب السباع كان يحتاج لذلك.. كما كانت بانياس تحتاج لاثباتات نزار نيوف وهيثم مناع لتقدم مسلحة لا رافعة لرغيف الخبز في شارع نفوا أصلا وجوده في سوريا.. فتلقف بالتأكيد أسياد وليد المعلم، ممن يشتمهم نيوف نفسه ليشبع تحريضه مصداقية، بتقديم ما عرضه على « الحقيقة» في مؤتمره الصحفي الشهير وقد قدم نفسه ذلك الموقع بكل مرضية كخبراء باللهجات السورية لاثبات أن الأمر في بانياس وليس في طرابلس لبنان.. تماما مثلما راحوا يعملون بتفنيد وجود مقبرة جماعية في درعا من دراسة شكل ولون الجرافة الصفراء وألبسة معينة « لايوجد مثلها في سوريا»!

حمص تلك ليست في عقول هؤلاء المرضى والموتورين حمص التي نتحدث عنها.. بل حمص التي يجب أن تدمر لأنها تجرأت وكشفت قبح حقيقة من هي «سوريا الأسد» تلك.. وكيف تتجرأ حمص على رفع رأسها بوجه من ظن أنه أخضعها يوم دمر حماة؟ كيف لحمص أن تفتدي درعا وتقف معها حتى في الموت.. رغم أنهم لم يخرجوا سوى طلبا للحياة وليس للتهكم على شعارات لا تشبه شعارات ولكنات تلك النخب المخصية وراء طاولاتها وهي تُنظر قبلا عن العدالة والحرية..

مشهد خامس: هذه ليست زينب الحصني..

وحين يخدش الصبح ذاكرة انثى سورية ترجع السيرة إلى أولها.. أهنا فلسطين أم هناك؟... وبحق الجحيم لما تمتمت تلك العجوز الحمصية بالعبرية، تلقي لعنتها على « الجنود البواسل» مرددة: شالوم.. هي لم تظن أنهم جنود إسرائيليون لا لكنة ولا هيئة.. بل عرفتهم، لكنها أرادت تذكيرهم بما تعرفه هذه العربية التي ربما بكت ذات يوم أذرع شباب شعبي وأوامر اسحاق رابين تنفذ بأيدي جنده سحقا لعظام جيل الانتفاضة بحجارة فلسطين حين التقطتهم العدسة متلبسين.. فلم يبكي زينب الحصني ولا حتى مخصيي شعارات حقوق المرأة في تجارة انكشاف الرق على رفوف زمن يزيد من غياب العقل ويستحضر عوضا عنه بضع اجترار مكاني وزماني.. هنا تغيب الصورة ويرفع تابوت في جنازة لا تسلم من رشقات « بواسل حافظ» في دروب قد لا تقطعها أم الزنار..

ولأن زينب لم تكن زينب المخترع سببها فقد دُرقت باسمها إنسانة لم يكترث لمن تكون سوى من أصيب بفزع فصامنا الممتد على شواطئ الحكاية في نتائجها وليس في مقدماتها.. مذيعة أخرى متأنقة تخبرنا بمخارج حروف تشبه اندلاق سائل لزج من فمها: أيها المتآمرون... بدكن حرية؟.. ها هي زينب الحصني حية تُرزق وهذه هويتها.. وفي قمة انشغال رب قاسيون بما سيشحنه وسيطه من لندن تغيب أسئلة الناس: ومن هي تلك المرأة التي سلم بواسل حافظ جثتها لأهل زينب؟ ذلك سؤال انفصامي لا علاقة له بالواقع.. الواقع محدد فقط بسؤالين اثنين: هل قلتم بأن زينب الجصني تم حرقها وقتلت؟.. هاهي نخرجها على « إعلامنا»... حتى لو لم يرها أهلها بعد تلك الدقائق.. هل قلتم بأن « حماة الديار» قتلة؟.. هاكم المشهد.. من آخره.. روان قداح ليست سوى « مجاهدة نكاح».. فلما تنشغلون بامرأة تُحرق..

الآن.. بعد لحظات من انتشار دبابات ومدرعات بشار في حمص، صرت أكثر وعيا بالقاء عجوز سلامها عبريا.. بل لم يكن المشهد قد فضح نفسه بعد.. فلم يجرؤ واحد من جند شارون أن يقوم بما قام به جند بشار « القومي الممانع».. كان المشهد يُشرب بالملعقة لجمهور أحضر سجادة صلاته سجودا لإله بشري يراه من رآه أعلى من كل آلهة.. لم نكن قد شاهدنا سلسلة بشرية تشبه محمد الدرة في طفولة تختنق ببلغمها.. ولم نكن بعد قد شاهدنا كفر قاسم ودير ياسين تتنقل جيئة وذهابا من التمانعة إلى الحولة والتريمسة.. كان المشهد ما يزال بعد غضا طريا يلويه كما عنقه من صدق ذات يوم نيساني بأنه لا يمكن أن تُداس كرامات البشر ورقابهم ويجرون كالخراف عراة بسلسلة عبودية مريضة ليخرج علينا « اساتذة قانون دولي» من جامعة دمشق، التي تخرج منها سفاح حماة رفعت كرجل قانون بمرتبة « دكتور».. ليخبروننا بأن كل هذا الذي نراه ليس أبدا في سوريا.. كله مجرد أوهام وتهيؤات وفبركات.. البيضا ليست في سوريا.. بل في كردستان.. والجمهور يسجد لصورة قاتل سفاح يقول لهم اليوم: وماذا تريدون؟ سوف تنتخبونني وسوف أنجح وسوف أورثكم لحافظ الثاني..

من يسأل عن هذه الجنائز التي تراكمت حتى غاصت فيها البشرية فاختنقت انسانيتها قبل أن تجد ضالتها في مشهد عبثي على مسرح الموت والتخلف: أتريدوننا حقا أن نختار بين داعش وبشار؟

هذا استخلاص الخصي عقلا وشكلا وموضوعا.. تشريح زماني لموت سوري جسدت حمص كل حكايته حين تلهى قوم بملهاة تلك الكوميديا الالهية التي صنعتها العقول الكسيحة عن الحرية والكرامة..

مشهد سادس: ساعة في ساحة القيامة..

لا رحمة هنا.. كونوا كما أنا وصحبي.. تلك القامات بعضلاتها ولحاها وشعرها الحليق تشبه ما أستدعيه فيكم.. وفي حمص، قبل ساحة عاصي حماة، كانت قيامة أخرى.. هي القيامة التي أرادها السوريون سورية، لا تستثني أحد منهم.. ونحن في السيرة الأولى كان لابد للصورة أن تذوب وتغيب في « أنا» القاتل المتسلسل يوزع أشلاء ضحاياه ثم يعود مبتسما لزوجته.. نحن في صورة أن لا يكون فيها صوت للسوريين.. بل صوت غرائز، إن لم تغب الصورة.. يعتلي من يعتلي منابرا بالابادة والذبح قبل أن يفر تحت وقع غضب الناس وتفضحه صوره في هاتف يكشف قبح ذلك العقل الذي يتحدث عن مؤامرة بينما يغرق في وحلها...

ساحة الساعة أسست فيها فيها عملية كنس الجثث لثقافة جرف الجثث الآتية لاحقا بثقافة البقلاوة تنتشر مزهوة على لحظة تخول أجساد السوريين إلى نشوة ذلك المتخفي في قلب الضاحية الجنوبية يعربد عن بوصلة فلسطين بينما سكاكين عسكره الآلية تجز رقاب السوريين والسوريات وبتفاخر تنشد « الشهادة» انتصارا للحسين وزينب.. أية قيامة أشد وقعا من تلك الانكشافات التي جعلت سوريا كلها تصير تابوتا متنقلا لا مكان لدفنه في تحول أرضها إلى مجرد فاصلة في جملة ايرانية اعتراضية توهم الواهمين بأن زمن سوريا عائد لما كان عليه قبل أن يركل شبابها كل الصنمية المورثة صمتا ورعبا.. ثمن الخلاص مرعب نعم، وعكسه موت جماعي وموات مستقبل يراهن على دفنه عصابات تستقوي بهوس مشاريع الآخر.. قد تبدو حمص منكسرة اليوم.. لكنها لم تختر طريقها الاجباري هذا لأنها وجدت بديلا عن جرف جثث أبناءها وأبناء سوريا.. لا طريق آخر للخلاص سوى الخلاص الذي اختاره شعب سوريا بنفسه مهما ظن القاتل بأن القتيل سيارك قتله بمهزلة يسمونها « انتخابات رئاسية».. الفرق كبير بين قيامة شعب ووهم عبيد يرمي في أدمغتهم نفايات ما أنتجته عقول الجريمة المنظمة والابادة المتنقلة.. لا شيء يوقف استباحة الحياة سوى الحياة التي هزت صرخاتها جدران وعينا..

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان

1994 - 1991

اليوم الثامن والعشرون 8/28

لا يزال النقاش يدور بين الجميع حول مفهومين هما: - مفهوم الديمقراطية ومفهوم الديكتاتورية، ويحاول كل طرف أن يتعمق في الشرح ويطبقه على ما يجري وما جرى في الاتحاد السوفييتي. فالجماعة المدافعة عن الديمقراطية يعتبرون أن الانقلاب الذي قاده وزير الدفاع ونائب الرئيس هو انقلاب لإعادة الديكتاتورية، وبالضبط بدكتاتورية الحزب الواحد، أما الطرف الآخر فيحبذون جماعة الانقلاب لأنهم يريدون – على حد قولهم – أن يكون الاتحاد السوفييتي وطناً له دوره، ويواجه أمريكا وتدخلاتها.. إن هذا الفريق يود للسوفييت أن يدافعوا عن حركات التحرر الوطني ومنها حركة التحرر في الوطن العربي.

هكذا يستعر النقاش بين الرفاق حول هذين المفهومين.. ومنذ القديم قبل الميلاد بستة قرون اختلف اليونانيون من أجل الديمقراطية والديكتاتورية. والثورة المسيحية ضد روما كانت من أجل الإنسان والديمقراطية. وجاءت ثورة الإسلام لدك السلطة المطلقة التي يملكها كسرى أو قيصر ورفع شأن الإنسان والديمقراطية.

إن الاتحاد السوفييتي لا يمكن الآن أن يعود إلى المرحلة الستالينية ولكن الأمن الوطني إذا هدد يتطلب موقفاً حازماً لا ينفع فيه الغزل بالديمقراطية، إن الدعاية الأمريكية التي تظهر الولايات المتحدة مدافعة عن الديمقراطية , هي التي جلدت شعب الفلبين بديكتاتورية ماركوس وشعب تشيلي بديكتاتورية بنوشيه وشعب السودان بديكتاتورية انقلابية وراء الآخرى.

وأهدت بلاد الشام انقلابات لمنع الاستقرار، وهذه الديكتاتوريات ناهبة ولا وطنية، إذن المسألة في الاتحاد السوفييتي مسألة تآمر أمريكي وصهيوني، وهذا التآمر يتستر بالديمقراطية.

والسؤال المحير هو أن أمثال غورباتشوف ويلتسين وشفرناتزه ينفذون ما يريده الوطن الروسي، أم أنهم يستجيبون لما تريده الامبريالية والصهيونية لتفتيت وتقسيم وإضعاف الاتحاد السوفييتي؟

اليوم التاسع والعشرون 8/29

ناداني أبو باسم /عيسى عباس/ كي أشرب المتة معه. لبيت نداءه وكانت الساعة قرابة العاشرة والنصف صباحاً، وكان ذهني يمتلأ بالعديد من الأفكار، أفكار حول العالم الثالث، وخاصة موضوع المديونية والتي وردت في كتابين قرأتهما مؤخراً: الأول لفيدل كاسترو وهو تقرير مطول عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية للعالم الثالث قدمه لمندوبي دول عدم الانحياز في مؤتمرها عام 1985 والثاني: المديونية للاقتصادي التقدمي السوري الدكتور رزق الله هيلانة ويبحث في وضع الوطن العربي الاقتصادي عامة، ومصر خاصة ووضع المنطقة قبل الإسلام، والأجداد المؤسسون لحضارة ما بين النهرين ووادي النيل، وقد اطلعت على هذه الحضارات من خلال بير روسي /مملكة أوزيريس/ وكتاب أحمد يوسف داوود /الميراث العظيم/. كان أبو باسم كعادته ساهماً، ويلتفت يميناً وشمالاً ويضحك.. فهو معك وليس معك. في وجهه الطيبة والإنسانية.. كانت الشمس في الممر ترسل أشعتها.. ودعته بعد نصف ساعة معتذراً لأنني مسؤول عن الطبخ في مهجعي هذا اليوم.

اليوم الثلاثون 8/30

سرت في الممر مع أبي منصور ضرار فراس من الحسكة، إنه معتقل منذ عام 1975 وهو من مواليد 1942، جاء إخلاء سبيله في 1978 ورفض التوقيع على طلب الاعتذار وقال أمام مدير سجن المزة: - بدل أن يُعتذر منا – نحن نعتذر، واستمر في السجن ستة عشر عاماً حتى الآن! إحدى شقيقاته وهي مدرسة وصلت إلى عضوة في قيادة فرع الحزب، طرحت في أحد الاجتماعات موضوع سجن شقيقها في منتصف الثمانينات وطالبت قيادة الفرع برفع طلب لإخلاء سبيله، فطردت من الحزب. وله أخ اعتقل معه. وكان عسكرياً ضابطاً أفرج عنه بعد ثلاث سنوات، تحدثنا عما يجري في موسكو، ومررنا على ذكر الديمقراطية التي تريدها أمريكا.. إن الحزن العميق على موسكو.

اليوم الواحد والثلاثون 8/31

روى أبو صلاح حبش العلاج حلماً قال: رأيت نفسي داخل قلعة بعد أن اجتزت ممراً من مماراتها، ونظرت فرأيت الشمس، ولكن سوراً وقف أمامي، فتسلقته وأود أن ألقي نفسي وراءه، ولكن المسافة نائية، وكانت مياه، فمشيت فوق السور علني أجد مكاناً قريباً وناشفاً، وكأنني شعرت أنني ملاحق، فعدت إلى داخل القلعة وكدت أصرخ، واجتاحني الخوف، واستيقظت وأنا أتمنى أن يكون حلماً، نهضت وشربت ماءاً. قلنا له: أنا وعائد – يمكن أن يفرج عنك

كان يفسر الأحلام في /تدمر/ أبو وضاح، وأبو هشام عبد الله الديبات، إن عالمنا مزيج من الأحلام واليقظة ومن العقل والجنون.

شهر أيلول 1991 | اليوم الأول 9/1

ذهب الطبيب ناجي حيدر إلى مدير السجن بناء على طلب الأخير الذي طلب كافة المسؤولين الصحيين، وطلب تقديم أسماء المرضى جداً وذوي الحالات الخطيرة، لعرضهم وقد أعطوه الأسماء التي تم عرضها أكثر من مرة على اللجنة، ولكن أحد لم يخل سبيله. في جناحنا كان هناك 13 اسما، لم يخل سبيل سوى اثنين منهما، ناقش ناجي الأمر مع مدير السجن قال: الإفراج صعب إذا لم يكن المريض بحالة ميئوس منها، فإنه من الصعب أن يستفيد. والمفهوم من ذلك أن المريض إذا كان يقترب من الموت فالأفضل أن يموت عند أهله، أما غير ذلك فلا، وهذا يدل أن لا إفراج عن العمل السياسي.

صديقي فيصل حوراني الذي كان محرراً في جريدة البعث، واستلم دراسات فلسطينية، وبعدها لم أسمع عنه شيئاً كنت قد قرأت له رواية « بير الشوم » فأعجبتني بصدقها وتوازنها. والآن أنهي فيصل رواية سمك اللجة , التي أعجبتني في الزمان والمكان. فهي ترصد زمن أديب الشيشكلي « الله يرحم ديكتاتوريته ويرحم ترابه «. مكان الرواية بحيرة طبرية، وقرية البطيحة وتخلف العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. قرأت الرواية وأنا أسترجع كل لحظة من تاريخ الفترة. جعلني فيصل أقف على ضفة الأردن وأعيش المعاناة اليومية التي ستكون السبب في ذهاب البحيرة والنهر إلى العدو الصهيوني.

اليوم الثاني 9/2

الأخبار والإشاعات تأخذنا وتدفعنا. سمعت أن وفداً له علاقة بحقوق الإنسان التقى «بيكر» وزير الخارجية الأمريكي , وطالبه بالتدخل من أجل الإفراج عن المعتقلين السياسيين في سورية. وسمعت أن لجنة العفو الدولية نشرت وعممت على فروعها وعلى الصحافة قائمة بأسماء المعتقلين السياسيين في سورية، والخبر الثالث الذي حمله أحد الزائرين هو أنه قريباً سيصدر مرسوم عفو عام.

سعد اللّه ونوس 1941 - 1997

■ ياسر مرزوق

ولد سعد اللّه ونوس عام 1941 في قرية في شمالي غربي سورية تسمى حصين البحر بالقرب من مدينة طرطوس والتي تعتبر من أجمل قرى الساحل السوري إضافةً لكونها أنجبت العديد من رواد المشهد الثقافي في سوريا , ونشأ ونوس في كنف أسرة فقيرة تعاني أزمات مالية متتابعة وصفها فيما بعد بأنها « سنوات بؤس وجوع وحرمان «.

درس المرحلة الابتدائية في مدرسة القرية وبناءً على نصيحة مدرس اللغة العربية بدأ بالمطالعة وكان أول كتاب اقتناه هو «دمعة وابتسامة « لجبران خليل جبران وكان عمره اثنتي عشرة سنة، تحولت بعدها المطالعة إلى شغف حتى بات يشتري الكتب بالدين , تابع دراسته في ثانوية طرطوس حيث حصل على الثانوية العامة عام 1959، وفي نفس العام حصل على منحة لدراسة الصحافة في كلية الآداب بجامعة القاهرة. وفي هذه السنوات الأربع من الدراسة استطاع أن يطلّ على الأدب المسرحي من خلال محاضرات المرحوم الدكتور محمد مندور, و أثناء دراسته وقع الانفصال في الوحدة بين مصر وسورية مما أثر كثيراً عليه، وكانت هذه الواقعة بمثابة هزة شخصية كبيرة دفعت به إلى كتابة أولى مسرحياته والتي لم تنشر حتى الآن، وكانت مسرحية طويلة بعنوان « الحياة أبداً « عام 1961. وبعدها تخرّج عام 1963 وعاد إلى دمشق حيث عُيِّن مشرفاً على قسم النقد بمجلة « المعرفة « التي تصدر عن وزارة الثقافة. وخلال عمله بالمجلة أصدرت عام 1964 عدداً خاصاً عن المسرح كتب فيه قسماً خاصاً بمصر ودراسة عن مسرح اللامعقول عند توفيق الحكيم.

وفي تلك الفترة، زاد اهتمامه بالمسرح وكتب مسرحيات قصيرة صدرت عن وزارة الثقافة في سورية عام 1965، في كتاب مستقل تحت عنوان «حكايا جوقة التماثيل»، ثم جمعت مع غيرها في كتابين صدرا عن دار الآداب في لبنان عام 1978. ومن أهم هذه المسرحيات القصيرة «ميدوزا تحدق في الحياة»، و«فصد الدم» (1963)، و«جثة على الرصيف»، و«مأساة بائع الدبس الفقير»، و«الرسول المجهول في مأتم أنتيجونا» (1964)، و«الجراد» (1965).

بعد ثلاث سنوات من العمل في مجلة « المعرفة « تركز اهتمامه على المسرح وعندما سنحت له الفرصة سافر عام 1966 في رحلة دراسية إلى باريس لدراسة الأدب المسرحي في معهد الدراسات المسرحية التابع لجامعة السوربون. وهناك وصلته أنباء هزيمة 1967 فتأثر كثيراً واعتبرها هزيمة شخصية له. وعبّر عن ألم هذه الهزيمة في مسرحيته التي أخذ شهرة بها «حفلة سمر من أجل 5 حزيران « (1968)، وأثناء ذلك عاد إلى دمشق يعاني آلاماً نفسية مبرّحة، جعلته يصف الأربعة شهور التي قضاها فيها بعبارة « في بؤس تام وفي شبه غيبوبة «, عاد بعدها إلى فرنسا التي سرعان ما شدته الحياة الفكرية فيها وأخرجته من عزلته.

في فرنسا تعرف على المسرح الغربي في فترة تحولاته الأساسية، واستطاع أن يستوعب أهم الطروحات الجديدة في تلك المرحلة، وأن يطوعها في أعماله على أرضية المسرح العربي واهتماماته. فاستخدم «الهابننغ والتحريض»، وأدخل تقنياتهما على موضوع الحرب في عام 1968، وذلك كي يطرح سؤالاً جوهرياً حول الهزيمة، مشككاً في قدرة الكتابة المسرحية التقليدية على التعبير عن المستجدات والأحداث العنيفة المعاصرة.

وفي فرنسا أيضاً مارس الحياة السياسية وساهم أثناء انتفاضة الطلاب في جامعات فرنسا مع زملائه في إقامة أحد المنابر للتعريف بالقضية الفلسطينية من خلال الخطب والمنشورات والكتيبات. وكان مؤمناً بالاشتراكية العلمية منهجاً وأسلوباً في الحياة، إلا أنه لم يعرف ارتباطاً بأي تنظيم حزبي , وأخيراً أنهى دراسته في فرنسا عام 1968 وعاد إلى دمشق، فعُيِّن رئيساً لتحرير مجلة « أسامة « الخاصة بالأطفال من عام 1969 إلى عام 1975 حيث أخذ إجازة بدون راتب وعمل محرراً في صحيفة السفير البيروتية، وعندما اشتعلت الحرب الأهلية في لبنان عاد إلى دمشق ليعمل مديراً لمسرح القباني الذي تشرف عليه وزارة الثقافة. وأسس مع شريكه وصديقه المسرحي فواز الساجر , فرقة المسرح التجريبي في دمشق والتي قدمت عدة عروض. وكان يهدف إلى تقديم مسرح وثائقي وسينما وثائقية تساهم في اكتشاف مشاكل المجتمع وفهمها، وتدعو إلى الإصلاح والتغيير. كما عمل أيضاً مع مجموعة من المتحمسين للمسرح ومنهم علاء الدين كوكش على إقامة مهرجان دمشق المسرحي الأول 1969، وعُرضت خلال هذا المهرجان مسرحيته « الفيل يا ملكَ الزمان» ونجح المهرجان على مستوى الوطن العربي، وتوقف بعد المهرجان الثامن في 1978 بسبب الأحوال السياسية الصعبة التي شهدتها المنطقة، ومنها الحرب الأهلية في لبنان، والقطيعة العربية مع مصر. وفي عام 1977 أصدرت وزارة الثقافة مجلة مسرحية هي « الحياة المسرحية « وأوكلت إلى سعد اللّه ونوس رئاسة تحريرها حتى عام 1988 وهي مجلة فصلية متخصصة في شؤون المسرح.

في حوار لونّوس عام 1979 شرح تطور أسلوبه المسرحي قائلاً: « منذ منتصف الستينات بدأت بيني وبين اللغة علاقة إشكالية ما كان بوسعي أن أتبينها بوضوح في تلك الفترة، كنت أستشعرها حدثاً أو عبر ومضات خاطفة. لكن حين تقوض بناؤنا الرملي صباح الخامس من حزيران، أخذت تلك العلاقة الإشكالية تتجلى تحت ضوء شرس وكثيف. و يمكن الآن أن أحدد هذه العلاقة بأنها الطموح العسير لأن أكثف في الكلمة، أي في الكتابة شهادة على انهيارات الواقع وفعلاً نضالياً «.

اعتصم ونوس عن الكتابة لعقد من الزمن تقريباً، منذ أواخر السبعينات ليعود إلى الكتابة في أوائل التسعينات بمجموعة من المسرحيات السياسية.

كرّم سعد اللّه ونوس في محافل عدة، أهمها مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي في دورته الأولى، ومهرجان قرطاج في تونس عام 1989، وحصل على جائزة سلطان العويس الثقافية عن حقل المسرح في دورتها الأولى.

صدرت أعماله الكاملة في عام 1996، في ثلاثة مجلدات عن دار الأهالي بدمشق، جمعت فيها كل المسرحيات الطويلة والقصيرة والنصوص النظرية من بيانات وكتابات تتعلق بالمسرح. وقد ترجمت مسرحياته إلى العديد من اللغات الأجنبية كما نشرت وتم عرضها في كثير من الدول العربية والأوربية.

عندما وقعت حرب الخليج 1990 عدها ونوس ضربة شخصية له فقال: « أشك معها في أنها كانت السبب المباشر لإصابتي بمرض السرطان، وليس مصادفة أن يبدأ الشعور بالإصابة بالورم أثناء الحرب والقصف الوحشي الأميركي على العراق «.

أصيب ونوس بسرطان البلعوم في عام 1992، وقد حدد له الأطباء الفرنسيون مدة للمرض القاتل بستة أشهر وأن هذا الرجل سيفارق الحياة بعدها، لكنه كما عبّر هو نفسه فقد كافح المرض من خلال إصراره على الكتابة والتأليف والإبداع، وهكذا دخل في صراع استمر خمس سنوات مع المرض، ففي عام 1994 عاوده السرطان في الكبد وبدأ دورة علاج طويلة في دمشق , في لقاء أخير معه قال: «إن إحساسي الجنائزي سيتضاعف أكثر وأكثر وأنا على حافة هذه التخوم الرجراجة بين الحياة والموت. أعتقد أن إسرائيل سرقت السنوات الجميلة من عمري وأفسدت على إنسان عاش خمسين عاماً مثلاً، الكثير من الفرح وأهدرت الكثير من الإمكانات «.

رحل سعد اللّه ونوس في الخامسة عشر من أيار / مايو 1997، أثر مرض دام لسنوات وهومن قال عن المرض , « المرض يكسر الكبرياء , و هذا أقسى ما فيه"، وقد ذكرت زوجته السيدة فايزة شاويش أنه لم يترك الكتابة والورق والأقلام حتى في أيامه الأخيرة بالمستشفى وهو يودع دنيانا , لم ينقطع خلالها عن الكتابة.

قال ونوس في مسرحية « منمنمات تاريخية «: "أليس من مهمة العالم يا سيدي أن ينير للناس ضوء ,او أن يهديهم إلى سبيل يخرج بهم من الانحطاط

- ليست تلك مهمة العالم..

- ما مهمة العالم أذن

- مهمة العالم أن يحلل الواقع كما هو ,وأن يكشف كيفيات الأحداث وأسبابها العميقة".

حاول سعداللّه ونوس أن يخلق من خلال هذا المسرح وعياً جماهيرياً عن طريق التعليم والتسييس والتحريض مستخدماً كل ما أتيح له من تقنيات مسرحية فنية حديثة في العالم،ولكنّ مسرحاً مثل مسرح ونوس يحتاج إلى جمهور من نوع خاص، إلى جمهور يمتلك مقومات متلق يعمل ذهنه فيما يرى ويسمع.

أطفال سوريا اللاجئين في لبنان، بأمان من خطر الحرب لكن أمام أخطار الشوارع

■ نشرت في جريدة واشنطن بوست 3 نيسان 2014
■ بقلم: لوفداي موريس ■ ترجمة: مريم أسعد

محمد حذيفة، 10 سنوات، يبيع الزهور في بيروت

بيروت، الساعة كانت تشير إلى العاشرة مساءً، يوم أربعاء بارد، بارات بيروت تعجّ بالزبائن كحال يوم العمل لمحمد حذيفة ذو السنوات العشر.

يجوب محمد الطاولات التي افتُرشت خارج محلاتها ممسكاً بإناء الزهور الحمراء ليبحث عن صاحب قلب طيب، فيرصد امرأتان منهمكتان بحديث عميق على الطاولة، فيمشي جانباً حتى يقتحم الحديث بابتسامة واسعة' إلاّ أنه يتحرك بعيداً بعد إشارة صارمة أومأتها إحداهن برأسها.

يكرر محمد خطته على زبائن محتملين آخرين، وهو يرتجف مرتدياً قميصه البرتقالي، إلى أن ينجح ببيع الزهرات العشرة التي بحوزته، إذ تنتظره أمه بعقوبة الضرب إن لم يبع ما لديه، فيضطر لأن يجوب الشوارع حتى الساعة الثالثة صباحاً.

أعلنت الأمم المتحدة أن لبنان قد قامت بتسجيل النازح السوري رقم مليون لديها يوم الخميس، مما يجعل هذا البلد الصغير - والذي كان عدد سكانه 4 مليون نسمة قبل الحرب السورية - موطناً لأعلى نسبة للاجئين في العالم.

ولعل أكثر مايمثل تدفق النازحين وأثر الحرب السورية على عاصمة لبنان هم الأطفال مثل محمد، أولئك الذين فرّوا من العنف وانتهى بهم الأمر هنا: يبيعون الزهور، أو المحارم، أو العلكة، أو يلمعون الأحذية في شوارع بيروت.

لا تمتلك لبنان مخيمات لاجئين من أجل السوريين، لكن وفي الطرف المقابل هناك ارتفاع في الإيجارات ومساعدات بسيطة للمهاجرين، مما يعني أن آلاف الأطفال السوريين مجبرين على العمل لدعم عائلاتهم.

وفقاً لإحصائيات اليونيسيف فإن هناك واحد على الأقل من بين كل عشرة أطفال سوريين نازحين يعمل لإعالة أسرته، وهي نسبة أكبر من هذه في لبنان، حيث أنه فقط ثلث هؤلاء الأطفال يدخلون المدارس.

ويقول مسؤولو الأمن اللبنانيون وعاملو الإغاثة أن هؤلاء الباعة الجوالين في الشوارع هم عرضة للعنف، وللسرقة، ولحلقات الجنس، وحتى للإتجار غير الشرعي بالأعضاء. وطبعاً هناك الأطفال العاملين الأقل وضوحاً، الذين يعملون في المصانع وفي الزراعة.

في عمل خطير، لكل طفل حكاية

ابتدأت قصة محمد حين كان عمره 8 سنوات، يعيش في منبج، وهي مدينة زراعية في الشمال، على الضفاف الغربية الخصبة لنهر الفرات. يعيش مع أمه الأرملة وجدته وأخوه وستة أخوات، في بيته المؤلف من ثلاثة طوابق والذي جرى توسيعه. وتملك العائلة كذلك مزرعة في قرية مجاورة، حيث كان يلعب مع إخوته بين 1300 شجرة زيتون.

كان يذهب إلى المدرسة، مع أن أمه تقول أنه كان ولداً مؤذٍ أكثر من كونه مواظب على الدراسة.

يقول محمد: "سوريا كانت أجمل مكان في العالم".

ثم دقت الحرب أبواب بيت محمد، واجتاح الثوار المعارضون مدينة حلب القريبة، وبدأت الحكومة بشن الضربات الجوية.

وفيما بدأت الحرب في حزيران 2012، قررت الأم "وتدعى أم علاء" أنه لابد للعائلة أن تبحث عن الأمان في لبنان.

وتقول العائلة أن مزرعتهم اليوم في "كراكوزاك" هي تحت سيطرة المسلحين الإسلاميين المنتمين لدولة الإسلام في العراق والشام، والتابعة لتنظيم القاعدة.

أصبحت قريتهم اليوم نقطة اشتعال محتملة للتدخل التركي في الحرب، حيث أنها موطن ضريح سليمان شاه: الجد الأكبر لمؤسس الامبراطورية العثمانية، وهي مهددة بالهجوم من قبل قوات دولة الإسلام في العراق والشام، مما دفع تركيا بالتدخل لحمايتها.

على خلفية ما حصل، ترى عائلة محمد أملاً ضعيفاً بالعودة قريباً إلى الوطن.

يعيش اليوم أفراد العائلة العشرة في غرفة واحدة مستأجرة في مبنى مهلهل مكون من خمس طوابق في بيروت، والذي يؤمن مسكناً ضيقاً لأكثر من 350 سوري.

تدفع العائلة 350 دولار أمريكي شهرياً لغرفة بطلاء متقشر ومطبخ صغير داكن يحوي غاز صغير للطهو. تعمل أم محمد عاملة تنظيف في بنك وتتلقى دعماً غذائياً من الأمم المتحدة، إلاّ أن أجرها الذي تتقاضاه "266 دولار أمريكي" لايكفيها لدفع الأجرة.

تقول الأم أنه لاخيار لديها إلا أن ترسل أبناءها إلى العمل، بالتالي فإن محمد وأخوه الأكبر علاء ذو الاثني عشر عاماً يمضون حوالي 10 ساعات يبيعون الزهور كل ليلة. يبقى كل منهما عينيه على أخيه، ويتفاديان الشرطة فهو عمل غير قانوني، وأصلاً محمد قد تم توقيفه مرتين سابقاً.

يقف محمد على إحدى تقاطعات الشارع الصاخبة في إحدى الليالي ويقول: "هذا الإناء هو شركتنا الصغيرة".

إلا أن عملهما هذا يعرضهما لخطر دائم، فبعد بيع وفير للزهور في يوم عيد الحب في العام الماضي، كان كل من محمد وعلاء في طريق العودة إلى المنزل والذي لا تتجاوز مسافته 15 دقيقة مشياً حين هاجمتهما مجموعة من الرجال بالسكاكين وسرقوا كل ما جنوه يومها.

حلقة مفرغة

تمتد الرقعة التي يبيع فيها الولدان بضاعتهما على طول بضعة أبنية في نهاية شارع الحمراء المكتظ في بيروت، حيث تسمع هناك اللهجة السورية تماماً كما تسمع اللبنانية، يتفادى محمد الذهاب إلى البارات، فهو يكره السكارى، وهم لا يشترون الورد بكل الأحوال.

لكن ليلة الأربعاء هذه، كان العمل بطيئاً، إذ أن محمد كان قد تم توقيفه وإرساله إلى ملجأ الأطفال، حيث اضطر ومنعاً للقمل أن يحلق شعره الممشط إلى الوراء بعناية، إلا أن شعره القصير الآن يؤثر على حركة البيع.

يقول محمد: "كان شعري جميلاً، كانت السيدات تحبه، كنت قد اعتدت أن أمشّطه يمنة أو يسرة، والجميع كان يشتري مني، أما الآن فلا أحد يريد ذلك".

بقي علاء في المنزل، فاجتمع محمد مع دياب، بائع المحارم ذو الأحد عشر عاماً، والقادم من دمشق، فذهبا ليجربا البيع في البارات القريبة من الجامعة الأمريكية ببيروت.

كانت صفقة البيع الأولى لمحمد ذاك المساء ممتازة، حيث أعطاه زوجان شابان أكثر من 3 دولارات للوردة، إلا أن فرحته هذه لم تدم طويلاً، فقد فاجأه أحد عناصر الشرطة ممسكاً إياه من مؤخرة عنقه ووقف شاهقاً أمامه ليدوس بجزمته الجلدية على قدم محمد ويفتح الضوء قوياً في عينيه.

سأله الشرطي بعنف: "ما هو اسمك؟ من أرسلك للعمل هنا؟"غير أن هذه المرة كان نصيب محمد التنبيه فقط، ولم يسقه العنصر إلى

الحجز.

تعلّق عبير أبي خليل، موظفة في حماية الأطفال في منظمة اليونيسيف: "هذا لا يساعد في حل المشكلة، فهي حلقة مفرغة".

بيت الأمل

بعد اعتقال محمد في الأسبوع الفائت، قضى ليلة في مخفر الشرطة، ثم تم إرساله إلى مأوى في الجبال فوق بيروت، وهو ممول من الحكومة اللبنانية لرعاية الأطفال المعنفين و المشردين أو المتخلى عنهم، حيث بقي محمد هناك حتى استطاعت أمه أن تحصل على إفراج عن ابنها بعد أسبوع.

"بيت الأمل" تديره مجموعة مسيحية غير ربحية، وهو يحوي على سبعين سريراً، ويقول المدراء أن هذا الرقم هو أقل بكثير من الرقم الذي يحتاجونه فعلاً، وأن حالة محمد هي واحدة من الحالات الأقل جدية وخطورة من الحالات الأخرى التي لديهم.

ويقول ماهر طبراني، مدير "بيت الأمل" أن عمالة الأطفال ليست بجديدة على لبنان، حيث توجد شبكات ضخمة لعمالة الأطفال، غير أنه ومع تدفق السوريين فإن هذه الشبكات قد وجدت مسارات جديدة لتفترس فيها.

ويضيف: "الأمر ليس فقط عن أطفال الشوارع، بل أكبر من هذا، وهو ليس فقط عن بيع الزهور و العلكة، بل إن بعض هؤلاء الأطفال يضطرون لبيع المخدرات، حتى أن بعضهم يضطرون لبيع أجسادهم".

ويستشهد ماهر طبراني بحادثة تعرض لها طفل في بيت الأمل في يوم ليس ببعيد، حيث تم أخذه للعناية بعد أن حاول أحد أفراد عائلته أن يبيع كليته، وهي حادثة باتت تحدث تحصل بتزايد مع تزايد أعداد النازحين المعدمين، وبحادثة أخرى تعرض لها أحد قاطني "بيت الأمل" السابقين وكان يبلغ 11 عاماً حيث تم بيعه من قبل أبوه لإحدى حلقات الدعارة، وقد أمرت المحكمة التي استلمت القضية أن يعود الطفل إلى عائلته.

ويكمل طبراني: "تشعر أن كل هذا العمل بلا طائل! سبعون بالمائة ممن هنا لا يريدون العودة إلى عائلاتهم ولا يجوز أن يعودوا، ولكن طالما أن المحكمة أقرّت ذلك فهم مجبرون على العودة".

يقول المحامون أن السلطات اللبنانية ليست مؤهلة كفاية لمعالجة مشكلة الأطفال اللاجئين من السوريين، وقد حذّرت اليونيسيف من ظهور "جيل ضائع" من الأطفال السوريين الذين فوّتوا سنين دراسة طويلة.

يناضل محمد ليبقى في صفوف الدراسة التي تنظمها منظمة محلية غير ربحية. في إحدى الأمسيات، وفيما وقف محمد على تقاطع مكتظ، رآه أستاذه فأوقفه ليسأله عن سبب غيابه عن المدرسة، فاشتكى محمد أنه ما من أحد ليوقظه في الصباح، وهنا وعد علاء الذي كان مع أخوه الأستاذ بأنه سيرسل محمد إلى المنزل باكراً "عند منتصف الليل" ويتأكد أنه سيستيقظ في الصباح.

ولكن، في اليوم التالي لم يأتِ محمد.

وفيما تجلس الأم متوسطة أولادها في شقتها الصغيرة تقول وهي تشير إليهم أن التعليم اليوم يأتي بمرتبة ثانية بعد الأكل والمأوى. وتضيف: "هم يجلسون معي هنا على قيد الحياة اليوم، إلا أن مستقبلهم قد مات".

رابط المقال الأصلي:

http://www.washingtonpost.com/world/middle_east/in-lebanon-syrian-refugee-children-find-safety-from-war-but-new-dangers-on-the-streets/20143947194/03/04/b-3e7e-44268203--a0e5fa9c1e5a_story.html

علاء حذيفة إلى اليسار، 12 سنة، وأخوه محمد، 10

عبد اللّه، 9 سنوات، لاجئ من إدلب-سوريا، يعانق أصدقاءه ضمن درس اللغة الإنجليزية في الصف في مركز «بيت الأمل» للأطفال في منطقة كحالة قرب بيروتر

أحمد، 13 عاماً، الثاني من اليمين، ومحمد، 14 عاماً إلى اليمين، كلاهما نازحين من درعا-سوريا، يأخذون استراحة من تلميع الأحذية للتحدث إلى أحد المبشرين المسيحيين ومساعده على كورنيش البحر ببيروت.

موتٌ مُبهج لرجلٍ مجهول

مشفى المواساة 2003

■ حمزة السيد - دمشق

في اليوم الأول: "أبوك مصاب بقرحة معدة، في اليوم الثاني ماء في الرئتين، في الثالث لالا، ثقب في البنكرياس ، في الخامس ضعف في القلب" هكذا أتلقى نشرة أحوال الأب على باب قسم الإنعاش في المشفى الحكومي، حيث نتكدس نحن الفقراء، على باب القسم المحصن بالمستخدمين الأفجاج، والممرضين الذي يشربون الشاي بزي يملئه دم الفقراء، هؤلاء أسياد هنا، لا أحد من الممكن أن يتكرم بالسماح لك بالدخول إلى حيث يستلقي مريضك إلا هم، يخرج الطبيب المبتدأ صغير السن من الإنعاش، هناك أمل يقول، والأمل ضعيف يقول طبيب آخر، لكن اللّه كبير يقول المُستخدم لي وأنا أبكي في دهليز المشفى، أيام مرت وأنا أشاهد أبي يتورم، الرجل الأسمر النحيل بات سميناً، "لكن كله ماء" تطمئنني ممرضة تعشق "كاظم" ويحلو لها أن تسمعه في غرفة إنعاش المشفى العام، ما أخبار أبي؟.. أسأل طبيباً ذو أسنان لامعة إلى درجة الإستفزاز، يهملني، أصمتُ وأتابع انتظاري وجوعي الذي أصبح مزمناً في مشفى المواساة.

سأنام على الأرض الليلة، في المهجع التاسع في الطابق الرابع، بين أناس لا يجمعهم شيء إلا الفقر الذي أجبرهم على دخول المشفى العام، على الأرض وعند الحادية عشرة ليلاً، يشبه المهجع كراجات النقل، أحاديث مستمرة بين المرضى والمرافقين لهم، يدخنون ويشربون الشاي ويتبادلون النكات والآلام والانتظار، استلقي تحت سرير مريض عجوز وقرب المبولة الشخصية، فالرجل مصاب بكسر في الساق، والممرضون ثبتوا له مبولة يتناوب أولاد الحلال على إفراغها كلما أمتلئ كيسها القريب مني، أنام كميت، ولا توقظني أحاديث المرضى ولا ضحكاتهم ولا صراخ المتألم منهم حين يطلب مسكناً، عند السادسة صباحاً يدخل المُستخدم إلى المهجع ممسكاً بدلو ومقشة ويلقي مياه السطل كيفما اتفق، أتبلل، أستيقظ، وأغادر المهجع، وجه المُستخدم يحمل لئم الأرض، إذا لم استيقظ من الرشة الأولى، ستلاحقني الممسحة في يده، لا قهوة هذا الصباح أيضاً، وعلي التوجه إلى غرفة الإنعاش فربما أستطيع الدخول إلى سرير أبي، في المصعد أسأل نفسي: هل لا زال حياً؟ لو مات كنت سأعلم.

حين دخلت أول مرة إلى المشفى الحكومي شاهدت شاباً يتناول طعامه بعد أن جلس على الأرض في الدهليز، كان يأكل بشراهة، ويبالغ في حجم اللقمة، يشرب عصيراً مع الشطيرة، مجرد من أي إحساس بكل هذا الألم، فيما تُسمع وبشكل واضح أصوات المتألمين وتتساقط منهم نقاط دم هنا، وسوائل دبقة هناك، أطفال تبكي ونساء تصرخ ورجال لا يُخجلها الألم، الشاب بلا أي أنفة في مكان تملئه رائحة الأدوية والبول، أدنتُ الشاب طوال ساعات، اعتبرته حيواناً إلى أن جلست بجواره في اليوم الثاني عند وقت الغداء، ونافسته في حجم اللقمة، ففي المشفى تعتاد سريعاً على أشياء لن تفعلها إلا إن كنت فقيرا جداً، ونحن الفقراء يُصعب أن نفهم كل الإشارات التي يرسلها لنا المستخدم طلباً للرشوة، ربما لأنه يشير لشيء لا نملكه!، فحين نُطرد جميعاً كمرافقين من كامل الطابق الرابع، ونُترك على الدرج، لأن الأطباء يقومون بجولة على المرضى، يقف المستخدم على الباب الحديدي الكبير، يشعل السيجارة من السيجارة وينظر إلينا واحداً واحداً، أنا لم أكن أفهم أن خمسة وعشرين ليرة أدسها في يده، ستغير مزاجه ويدعني أعود إلى سرير أبي، كانت النساء يستخدمن الدعاء ويفشلن في العبور، الرجال تهدده أو تتملقه وتفشل في العبور، بينما تستطيع صبية عبر ابتسامة واعدة أن تفتح الباب وتدخل، كنت انتظر لساعات حتى يسمح لنا بالعبور إلى المهاجع من جديد.

في آخر مرة عاد فيها أبي إلى الوعي قبل رحيله، أمتلك حساً فكاهياً عالياً، رغم أن الطبيب قال لاحقاً إنها سكرات الموت، لكنني أريد أن أذكر طلبه الأخير على أنه دعابة أطلقها لا هذياناً من الألم، فحين دخلت إلى غرفة الإنعاش بفضل مستخدم أخبرني أنه استيقظ، كانت "المنفسة" قد أزيلت للتو من فمه، قليل من الدم على شفته، سألته كيف أنت؟... أجاب وعيناه تجولان في المكان: "منيح".. كيف أنت؟ قلت: جيد... صمتُ قليلاً فلم أجد ما أقوله الآن، أراقبه يتنفس بصعوبة ويسرق النظر إلى قدمه المكسورة والمثّقلة بكيس من حديد كي لا يحركها فيزيد من سوء الكسر، سألني: هل أجروا لي العملية؟ كان

عمل للفنانة سهام الكردي، بعنوان: طفلة شهيدة

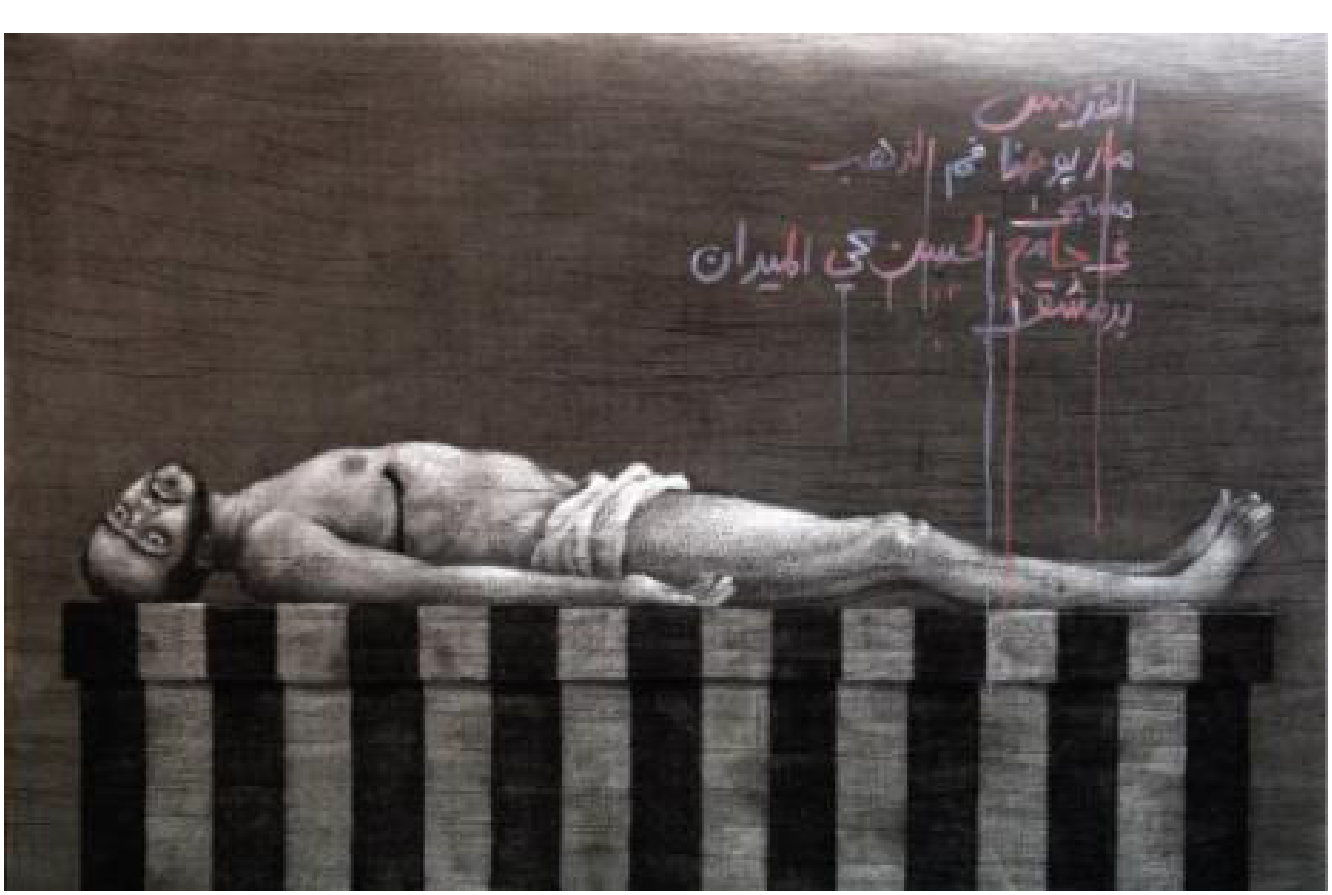

القديس مار يوحنا فم الذهب مسجى في جامع الحسن بحي الميدان بدمشق | الفنان يوسف عبدلكي

أبـي قـد أُدخل غرفـة العمليات أربـع مرات حتـى الآن، الأولـى منها من أجل كسـر في عظم الفخذ، وثلاث مرات دخلها وخرج منها غائباً عن الوعي، لم يكن يعلم أن بطنه قد شُق لثلاث مرات في عشرة أيام لأسباب لم تُعـرف حتى الآن، ويبدو أنه نسـي العملية التي أجراها بكامل وعيه، أجبته أن العملية أجريت، صوتي كان مشبعاً بالدمع، ووجهي يسـقط مني، وسـتارة الماء المالح منعتني من التركيز في وجهه، مسـحت دمعي بكلتا يدي حين أدركت انه لا يقرأ بكائي، قال لي فجـأة وبحماس أنـه يريد تنـاول الحلويات، كان دائم التعلق بكل شيء حلو المذاق من طعام ونسـاء وشـعر وفن، أجبت سريعاً أي نـوع تريد؟، قـال: ملوخية... أصبـح بكائي فاجـراً وبـلا حياء، أمسـكت يده مـن جديد وقـد انتفخـت فلم تعـد عظامهـا وعروقها البـارزة تظهر، لا زال يتأمـل المكان، وقلما ينظـر إلي، هل يعرف من أنـا؟ اقتربت منه وتركت قبلة على جبينه، ما إن رفعت رأسي والتقـت عينـاي بعينيه، حتى سـألني : من أين تعيشـون؟؟ كانت لحظـات وعي عميقة لا تليق بما سـبق، عاد ليقول: أمعكم مال؟؟ كان فـي جيبـي حيـن حدثنـي أبـي للمرة الأخيرة خمسـة عشـرة ليرة وليس لي أي دخل، وهـو يموت بيـن يدي، وأنـا لا أدرك ذلك.

في الطابـق الرابع المخصص لأمراض كسـر العظـم، أضطـر القائمـون علـى المشـفى أن يدرجوا مريضا بالسرطان في مهجعنـا، بقية المرضى اسـتقبلوه بالكثير مـن الإنـكار، رجـل فـي الأربعيـن مصاب بسرطان الحنجرة، معه زوجته الشابة وغير المتوازنـة، صوتهـا مرتفـع وصراخها كثير ولا تملك صبراً على سوء المعاملة، ولا مالاً تتجنـب فيها هذا السـوء، مريض سـرطان الحنجرة يصـدر أصواتاً عميقة ليتفاهم مع زوجته والمحيطين به، صوت نادر السـماع، فلا هو آدمي ولا هـو حيواني، وكأنه صوت من عالم سـفلي، زوجتـه لا تعرف الصمت ولا تهجر البكاء بحالته السريعة التي لا دمع فيها، تأنّ كلما أنّ زوجها وتتحدث عنه للجميع وكأنـه غير موجود، لا تفارقه ولا ترضى أن يبقى معه غيرها، لكنها دائمة الشكوى من مرضه، تكرهها في بداية سكناها للمهجع، لكـن مـع الوقـت وبعـد أن تعـرف أن حالة الرجـل في التنقل من سـرير مشـفى إلى سرير آخر قد تجاوزت العام، تتفهم مظاهر الجنـون الأولـى التي بـدأت تظهـر عليها، لدرجـة جعـل من السـهل أن ترسـم على وجهها ضحكة لأي دعابة سـمجة تطلقها، كنتُ وهي نتقاسـم السـجائر ونجلس في دهليز الطابق الرابع بعد أن تطفئ الأضواء علـى المرضـى، كان أبـي لا يـزال مريض كسـر عظم فقط، وكان السـرطان مختبئاً فيـه، وظاهراً في جسـد زوجـة صديقتي، كانا ندخن بشراهة حين قالت فجأة، "ليمت، ليمت الآن لقد تعبت...لكني أحبه...سـأرتاح ويرتاح"، صوتها يختلف إيقاعه بين الجملة والجملة، هنا نسـمع ضرباً قوياً يصدر من داخـل المهجـع، كان زوجهـا يضـرب حديد السـرير لياديها، حين دخلنا إليه، كان الدم يملـئ فمه، تصرخ هي كمـا العادة وتوقظ جميع المرضى، يسرع الممرض إلينا ويرفع الغطـاء عن كل جسـده، كان دمـه قد غادر جسـده وصبـغ المـلاءات، ومشـى بعضـه على الأرض، تحققـت أمنية صديقتي بعد ساعات، لكنها بقيت نصف مجنونة.

في ليلته الأخيرة في المشـفى قال لي طبيب خبير لم أشـاهده مـن قبل، إن وضع أبـي أفضل الآن وقد تجـاوز مرحلة الخطر، كان انتظار جملـة كهذه قد أصبح لا يطاق، أراحتنـي الجملـة، واتبعها الطبيـب بأنه لا حاجـة لبقائي هنا، فالجميع يسـهرون على راحة أبي، علمت أنه يكذب، لكنني قررت أن أصدقه الليلة وأغادر المشـفى فغداً أتخرج، ومشـروعي لـم ينتهي بعد، بضع سـاعات حتى الصباح في قسـم النحت ستساعدني علـى إنهاء المشـروع، في تلـك الليلة كنت في المرسـم الكبير لوحـدي فجميع الطلبة أنهوا أعمالهـم وغادروا، لم أعاشـر مطلقاً خشـب الزيتون بمثـل هذه الدهشـة، كان عملي الـذي لم يعجب أحـدا، يخبرني كيف أتحـرك، يريد مني أن أزيـل عنه الزائد من الخشـب، كان يأمرنـي حيناً أن أركـز هنا، ويطلب حينـاً ويغمز حيناً، آلة القطع طيّعة جـداً، لا تخطئ هـي ولا أخطئ أنـا، رائحة النشـارة كرائحـة جسـد امـرأة تعشـقها، وذراتها تلتصق بوجهي وكأنه عرض بطيئ لمشـهد حب، تدخل اوركسـترا بكامل زيها الرسمي إلى رأسي، أنسـاب مع الخشب ولا أطيق مفارقته، كم يبدو سـهلاً هذه الليلة أن تنحـت وجهاً، يخدعـك وتخدعه وتصدق أنه حي، وتقول لـه: أحبك، فيضحك الوجه لي ويخبرني أن أحـرره أكثر فكلينا لم يعد يطيـق الاسـتتار، لسـت هنا وأنا هنـا، قوة تحركنـي الآن وتتنـزل كل سـكينة عرفها البشر علي، لا أشـتهي شيئاً غير الاستمرار فـي مداعبة هذا الوجـه، ولا يهمني من منا هو السـيد، تلـك الليلـة أدركـت أن النحت عبـادة، فـي غرفـة الإنعـاش كان أبـي قد اسـتيقظ للمرة الأخيرة وحيداً وعاد لنومه، فـي ذات التوقيت ولـد عملي الذي لم يعجب لجـان التحكيم صباحاً، ومات أبي الذي دخل التراب عصراً.

لا يفهـم الفقير إلا الفقير مثله، وأحياناً لا يفهمه أحد، كم هو صعب أن تشرح لرجل ميسور أنك لا تملك ثمن قميص جديد، لن يـدرك معنى الجملة، لن يصل لحرقة نطق الحـرف، ولن يعرف كم اسـتهلكت وقتاً كي تبوح بسرك: لا مال لديّ، كم تحتقر نفسك حين لا يبالي بالثمن الذي دفعته للتو، وكم مـن مرة وصل الكلام إلـى موته في الهواء ولـم يمـت نطقـاً، هـو ذات الشـعور الذي يتركه إخبار إمرأة ما، أنك تحبها، فتقول لك شكراً،جائع حلمي، ودائم التقلص.

***طوال عشر سنوات، بقي الشهر الذي عشته في مشفى المواساة بدمشق، يأنّ، ويُريد أن يصبح نصاً..**

عادل مالك: من رودس إلى جنيف فلسطين من الضياع إلى الربيع العربي

■ ياسر مرزوق

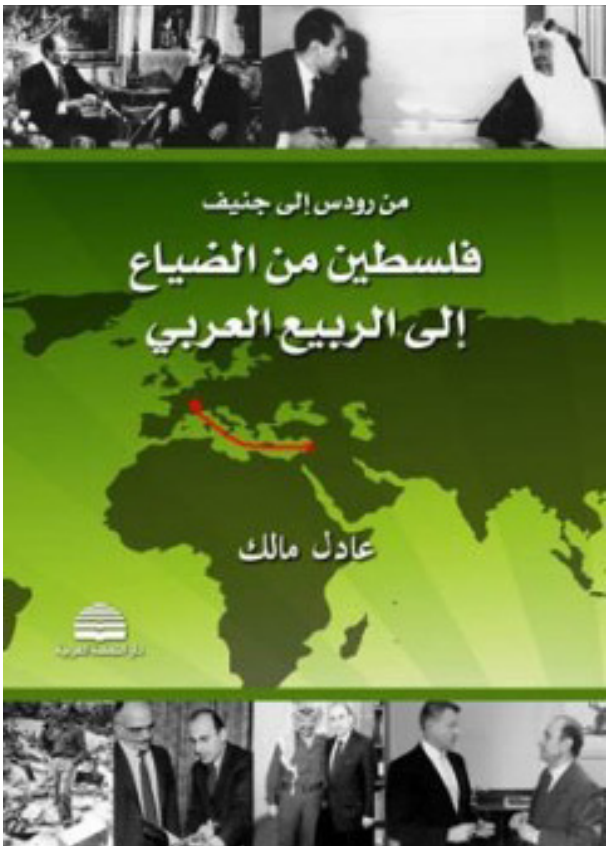

كتابنا اليوم للصحافي والإعلامي اللبناني «عادل مالك» الذي عرفته الصحافة اللبنانية والعربية في مطلع الستينات والسبعينات من القرن العشرين، والذي تابعه جيل بكامله في اطلالته التلفزيونية من خلال تلفزيون لبنان الرسمي الذي كان في مقدم التلفزيونات العربية آنذاك. وبعد تجربة طويلة في العمل الصحافي سواء في الإعلام المرئي - المسموع أم في الصحف أو في المؤتمرات الدولية، شاء الإعلامي المعروف محلياً وعالمياً، أن يضع بين أيدي قرائه خلاصة عمله الدؤوب في كتاب يُعيد إلى الذاكرة ما عانته القضية الفلسطينية من مصاعب، وهي التي تُعدّ جزءاً رئيساً من أزمة الشرق الأوسط , وما رافقها من اجتماعات عربية ودولية عجزت حتى الآن من التوصل إلى حل مناسب بسبب التعنت الاسرائيلي والتخاذل العربي المستمر , إضافةً لمجموعة من اللقاءات مع اللاعبين السياسيين عربياً وعالمياً في تلك الفترة

يستهل مالك كتابه هذا بـ" النبوءة اللبنانية" للدكتور شارل مالك، وزير لبنان. المفوض في واشنطن آنذاك، يحذر العرب من قيام دولة صهيونية في فلسطين يعد لها العالم الغربي الطامع في غنى منطقة الشرق الاوسط، ومحذراً من النتائج السيئة فلسطينياً وعربياً اذا ما قامت هذه الدولة , ويلي هذه "النبوءة" مقدمة قيمة بقلم الدكتور شارل مالك يستعرض فيها اهمية منطقة الشرق الاوسط الاقتصادية والسياسية بالنسبة إلى كل من فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي سابقاً والولايات المتحدة الاميركية.

وبين طيات الكتاب وفي الفصل الأخير ضمّن مالك العمل مراسلات متبادلة بين البرت أينشتاين « 1879 ــ 1955» و الدكتور شارل مالك «1906 ـ 1987» عام 1947.

يقول مالك عن « شارل مالك « مقدم الكتاب: «هو صاحب تاريخ حافل وشخصية مميزة تزخر بالعلم والمعرفة والثقافة. ومن العناوين البارزة التي تعرف عنه: إنه أستاذ الفلسفة المميز، وهو المشارك الفاعل في وضع الشرعة العالمية لحقوق الإنسان، تقلب في العديد من المناصب، منها سفير لبنان المفوض في واشنطن، ورئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة بين 1958 و1959، وعمل وزيراً للخارجية اللبنانية في أوقات حرجة واجهها لبنان في منتصف القرن الماضي، حائز ما يزيد على 55 دكتوراه فخرية من أبرز الجامعات الأميركية والعالمية. وقيض لي أن أكون على تماس وعلى علاقات مباشرة مع هذه الشخصية الفذة.

عندما طلبت منه كتابة المقدمة العامة للطبعة الأولى من الكتاب، كنت ألتقيه بصورة دورية في منزله في الرابية الجميلة والهادئة. كذلك، تسنى لي الإفادة من تجاربه العميقة عبر العديد من الحوارات والمناقشات. ذات يوم، تطرق الحديث إلى المراسلات التي جرت بينه وبين العالم الشهير ألبرت أينشتاين، حيث يطلب في واحدة من هذه الرسائل معرفة رأي الدكتور مالك في نظرية توصل إليها. وفي ما يلي نصوص الرسائل المتبادلة بين الرجلين، وموجز عن نظرية أينشتاين التي نتحدث عنها، وهي فترة تعود إلى عام 1947. «

يركّز مالك في كتابه على الربط ما بين أحداث الماضي في منطقة الشرق الأوسط وما يحصل حالياً، كون الحاضر هو بمثابة النتيجة الحتمية لذلك الماضي. ويتتبع في سبيل ذلك المؤتمرات الدولية حول الصراع العربي الفلسطيني من رودس إلى جنيف في محاولات لإيقاف نزيف الحروب المتتالية، ذاكراً القرارات الصادرة عن هذه المؤتمرات وخصوصاً القرار 242 الهادف إلى وفق القتال العربي الاسرائيلي.

جمع مالك في الباب الأول في الباب الأول وعلى امتداد خمسة فصول مدعمة بالوثائق والمستندات عن مشكلة النزاع العربي-الاسرائيلي حول فلسطين وما سببه من حروب في الأعوام 1948-1956-1967-1973, وما نتج عنها جغرافياً وعسكرياً في خارطة العالم العربي.

كما اعتمد على عشرات الوثائق التي تساعد على تقصى الحقائق وعرضها على القراء بكل موضوعية وشفافية، وتكشف اهتمام العالم بمنطقة الشرق الأوسط، كونها بؤرة الصراع العربي الإسرائيلي المستمر منذ العام 1948 حتى الآن، وتأثير هذا الصراع على دول المنطقة عموما وعلى لبنان خصوصا، كونه حسب موقعه الجغرافي وسط هذا الصراع، البلد الأضعف عسكرياً وديمغرافيا , وقد ذكر في هذا الكتاب ما يعانيه لبنان سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، جراء أحداث الشرق الأوسط، وذلك من خلال تدوين لقاءاته الصحفية مع الزعماء العرب والزعماء اللبنانيين فى «زعماء قابلتهم».

أما الباب الثاني, فيأتي تحت عنوان «زعماء قابلتهم» يستعرض عادل مالك آراء زعماء لبنانيين حول المشكلات الاجتماعية والسياسية لبنانياً, ومنهم: كمال جنبلاط, موسى الصدر, بهيج تقي الدين, ريمون اده, إلى جانب آراء الزعماء العرب حول الصراع العربي-الاسرائيلي كالعاهل السعودي الملك فيصل, الملك حسين , الرئيس الاسبق أنور السادات والزعيم الفلسطيني ياسر عرفات.

واحتراماً من الكاتب للأمانة المهنية السياسية والأكاديمية لكتابه ولمضمونه أضاف رأياً حول حصاد «الربيع العربي» طارحاً السؤال التالي: إلى أي مدى ستلتزم الأنظمة العربية الجديدة بالقضية المحورية وهي قضية فلسطين, أم أن هذه الأنظمة سيكون لديها جدول أعمال يختلف عن السابق , انه السؤال الأساس المحوري الذي يطلقه الكاتب في أنحاء الربيع العربي ألا تكون قضية فلسطين والامعان في تهديد جميع المعالم العربية, القضية التي لم يقدم لها العرب ما يكفي لاستعادة الحق السليب فيها, وما سمعه الكاتب من مفكر عربي في هذا السياق: إن الربيع العربي قد وضع القضية الفلسطينية في ثلاجة الموتى, يتمنى عدم صحته, فننتظر الأيام المقبلة التي تنبئ بالكثير.

كتاب تكمن قيمته الفكرية في تركيز عادل مالك على ربط أحداث الماضي في منطقة الشرق الأوسط بما يحصل حالياً, كون الحاضر هو بمثابة النتيجة الحتمية لذلك الماضي المثير , الذي كانت الكلمات فيه أكبر من النتائج , بل إن النتائج كانت في كثير من الأحيان على عكس ما كان مأمولاً , والذي تحملت فيه القوى الاجتماعية أعباء الحروب والهزائم ولم تكن هي القوى التي عادت عليها نتائج الانتصارات المحدودة التي تحققت للعرب في تاريخ الصراع , مما أدى إلى خلل في التوازن النفسي ساد المجتمعات العربية , واستحكمت معه أزمة الشرعية بالنسبة للنظم الحاكمة.

مطر بخيل لتراب عطشان

أحلام الرجل الذي يحب الجميلات الحمقاوات (2)

■ زكريا تامر

سأقطفُ وردَك وردة وردة

لمس الرجل يد المرأة، فارتعش كأن الصيف الحار قد رحل فجأة ليحل محله شتاء كثير الثلوج، وقال لها بصوت مضطرب إنه مستعد من أجلها لأن يغتال ألف ملك، فضحكت المراة، وقالت له: ليس لدينا ملوك. لدينا رؤساء يشبهون البطاطا العفنة.

وضحكت المرأة ثانية، وقالت للرجل بصوت جاد: عرفت الآن ماذا ستفعل بعد أن لمست يدي، فماذا ستفعل حين تلمس ركبتي؟

فلم يجب الرجل إذ كان منهمكاً في تخيل أنه لمس ركبتيها متحوّلاً سرب جراد يتساقط في دوامة من أوراق شجر، وتنفس بعمق كمن ينوي البقاء دقائق تحت الماء ثم لمس ركبتيها البيضاوين بأصابع خاشعة مبتهلة، وفوجيء أنه تحوّل إلى ما يشبه نهراً غزير المياه يعذبه العطش، فانقض فمه على شفتيها المبللتين منتقلاً من رجل رصين هادىء إلى نار وريح، ولكنه سمع في تلك اللحظة جرس باب البيت يرن بإلحاح، وبوغت بجيرانه الملتحين القاطنين في البناية التي يسكن في طابقها السادس يحتجون غاضبين على وجود إمرأة في بيته ليست زوجته أو أمه أو أخته، فهمدت الريح، وانطفأت النار، وباتت رماداً وغباراً، وقال لجيرانه متحدياً إن البيت بيته يستقبل فيه من يشاء، ونصح المتضايقين من جيرته أن يسكنوا في بنايات أخرى، وأخبر المرأة بما جرى، فضحكت، وقالت له بصوت مرتبك: لو تزوجنا لما تجرأ أحد على النطق بكلمة.

فقال الرجل: سنتزوج عما قريب، وستنجبين لي مائة ابن.

وتخيل الرجل والمرأة أنهما مطوقان بمائة طفل يصرخون مطالبين بما يصلح لأن يؤكل، فنظر الرجل إلى المرأة، ونظرت المرأة إلى الرجل، وكانت نظراتهما ملأى بالذعر.

لا تحاول الفرار

طلب الرجل من المرأة أن تضحك، فنظرت إليه بدهشة واستغراب، وسألته عن السبب الذي يدفعه إلى أن يطلب منها هذا الطلب، فقال الرجل لها: حين تضحكين أنسى الظالم والمظلومين.

فضحكت المرأة، ولكن الرجل لم يستطع نسيان الظالم والمظلومين، فأغمض عينيه، وتخيل أنه قد تسلل ليلاً إلى قصر الظالم، ودخل غرفة نومه، فوجده مستغرقاً في نومه، فانتضى سكيناً، وغرس نصلها في قلب الظالم الذي هلك تواً من غير أن تبدر عنه صيحة استغاثة، وتخيل الرجل أن أعوان الظالم لم يكترثوا لغيابه تحت التراب، واستمروا في بطشهم بالمظلومين العزل.

وفي تلك اللحظة سمع الرجل والمرأة ضوضاء الرجال الملثمين الذين يرتدون ثياباً سوداً يحطمون باب البيت، ويقتحمونه شاهري السلاح، وينقضون على الرجل، ويقيدونه غير مبالين بأسئلة المرأة واحتجاجها، ويقتادونه إلى سيارتهم التي نقلته إلى غرفة ضابط أمره بالتكلم فوراً والإعتراف بما كان ينوي أن يفعله، وطالبه بالكشف عن كل المعلومات وأسماء شركائه، فقال الرجل للضابط: ما الذي تريد مني أن أتكلم عنه وأعترف به؟

فقال له الضابط بصوت حانق: ما دمت مصراً على عنادك، فستعرف حالاً وسائلنا التي ستجعلك تعترف بأنك قاتل الحسين، وستعرف كل ما لدينا من وثائق عنك منذ أن كنت في بطن أمك حتى مماتك، وستعرف أيضاً كل ما لدينا من شهادات لجيرانك تكشف فسادك وانحطاطك.

وكانت المرأة في تلك اللحظة مغمضة العينين تتخيل أنها ورجلها غرابان يطيران في سماء فسيحة زرقاء، ولكن الرصاص المنطلق من الأرض يسقطهما جثتين ممزقتين.

عمل للفنانة: يارا النجم

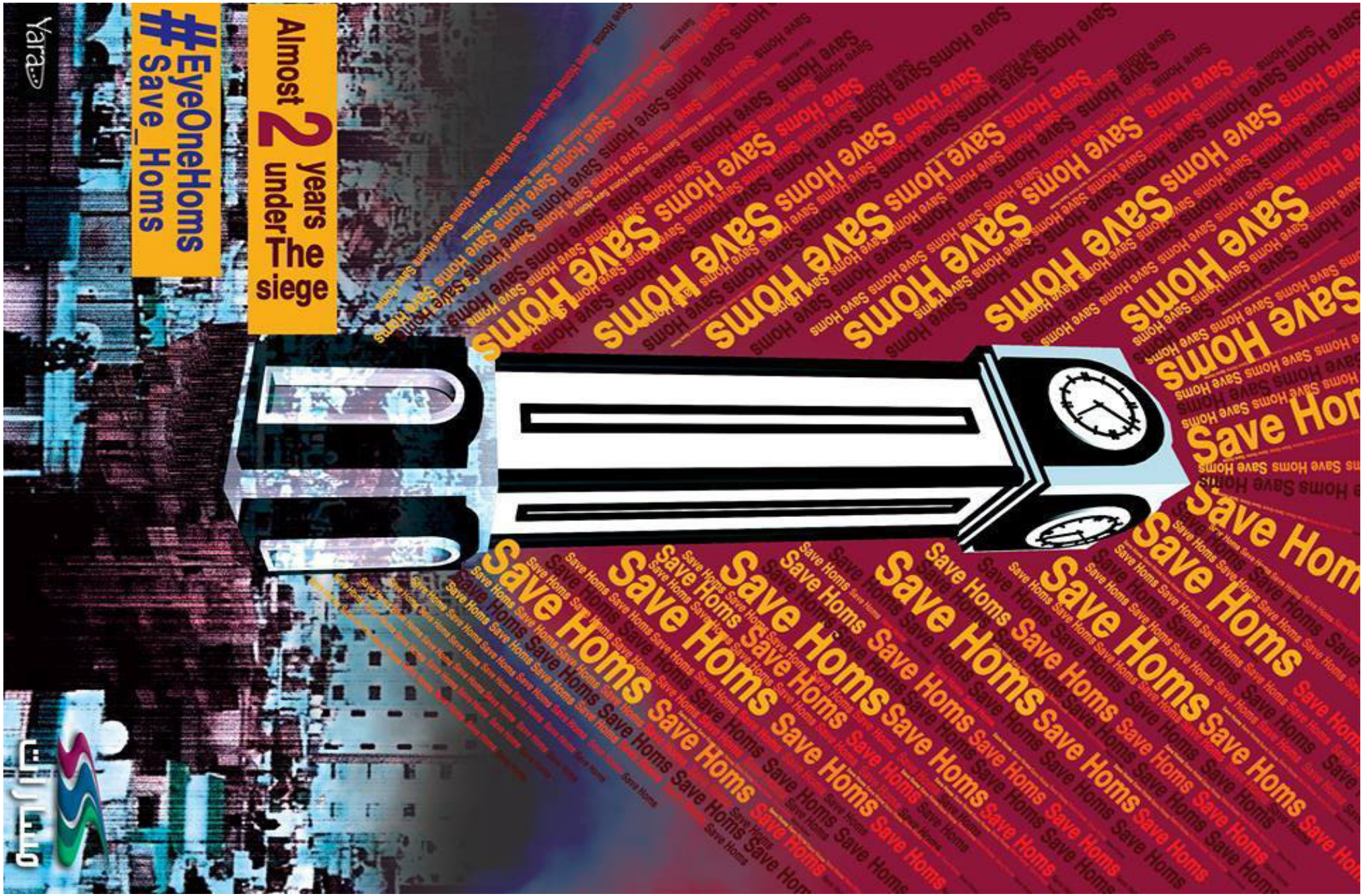

المواطنة والمجتمع المدني

■ إعداد المحامي فارس حسّان

في تعريف المجتمع المدني:

تعددت تعريفات مفهوم المجتمع المدني بتعدد الفلسفات ومناهج المعرفة التي تناولته بالدراسة، و يمكن أن نعرفه إجرائياً بأنه: مجموع التنظيمات، غير الحكومية، التي يقوم نشاطها على العمل التطوعي، الذي لا يستهدف الربح، ولا تستند فيه العضوية على روابط الدم و القرابة.

كما يعرّف بكونه مجموعة التنظيمات والبنى التطوعية الحرة، التي تشغل المجال العام في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والمهنية والثقافية والدينّية - والتي تتلاقى طوعياً حول مجموعة قيم أو مصالح مشتركة. و هذا القطاع يتحدد موقعه ما بين الدولة ومؤسساتها من جانب، والقطاع الخاص الهادف للربح من جانب آخر.

يعتقد فلاسفة "العقد الاجتماعي" وعلى رأسهم توماس هوبس وجون لوك: بان المجتمع المدنيّ هو عكس المجتمع الطبيعي. في الوضع الطبيعي متخيل لا توجد حدود للحّرية الشخصية, فباشر الناس حياتهم بحّرية مطلقة, من دون قيود أو تحكم. إلا انه في حقيقة الواقع, لا يمكن للإنسان ضمان بقائه واستمراريته بدون الرجوع إلى مجتمع مدنيّ أو حياة مدنيّة تمنحه الإمكانيات المادية والدعم المعنوي. هؤلاء الفلاسفة, لم يميزوا بين الدّولة وبين المجتمع المدنيّ, فكلاهما كيان واحد غير قابل للانفصام.

كما تبنى البنك الدولي تعريفاً للمجتمع المدني أعده عدد من المراكز البحثية الرائدة: «يشير مصطلح المجتمع المدني إلى المجموعة واسعة النطاق من المنظمات غير الحكومية والمنظمات غير الربحية التي لها وجودٌ في الحياة العامة وتنهض بعبء التعبير عن اهتمامات وقيم أعضائها أو الآخرين، استناداً إلى اعتبارات أخلاقية أو ثقافية أو سياسية أو علمية أو دينية أو خيرية. ومن ثم يشير مصطلح منظمات المجتمع المدني إلى مجموعة عريضة من المنظمات، تضم: الجماعات المجتمعية المحلية، والمنظمات غير الحكومية، والنقابات العمالية، وجماعات السكان الأصليين، والمنظمات الخيرية، والمنظمات الدينية، والنقابات المهنية، ومؤسسات العمل الخيري».

أما التعريف الشامل الذي اتفق عليه كل الفاعلين في المجال منذ ظهوره وانتشاره عبر مسار تاريخي عميق, حيث اتفق الجميع على أن المجتمع المدني هو كل التجمعات البشرية التي يقيمها الأفراد فيما بينهم لخدمة مصلحة عامة دون غرض الربح, وذلك باستعمال مهاراتهم وخبراتهم الخاصة في تأطير وتكوين فئة معينة من المجتمع وتوعيتها في جل مجالات الحياة الخاصة بذلك المجتمع, وذلك في استقلال تام عن باقي مؤسسات المجتمع, أي السلطة, القضاء, إلى آخره من مؤسسات الدولة. وتتمثل أنواع المجتمع المدني في هذا التعريف الشامل في: كل من النقابات, الأحزاب السياسية, الجمعيات الثقافية والرياضية والتربوية , كما ظهر اتجاه واسع في المجتمعات الغربية ينادي باعتماد هيئات التمثيل المحلية أو البرلمانات جزءاً من المجتمع المدني.

مقومات المجتمع المدني:

ورغم تعدد واختلاف تعاريف المجتمع المدني فإن معظمها يركز على مقومات أساسية يستند عليها في وجوده ويمكن تلخيصها فيما يلي « الطواعية , التنظيم , الاستقلال عن الدولة , خدمة الصالح العام , عدم السعي للوصول إلى السلطة , عدم استخدام العنف »

المجتمع المدني والمواطنة:

المجتمع المدني ليس حلاً سحرياً للمشكلات والمصاعب والاستحقاقات التي تواجهها سوريا المعاصرة ولا أحد من المهتمين بالموضوع والداعين له يحمل أوهاماً خلاصية حوله , تكمن أهمية المجتمع المدني في أنه يجنبنا مأزق الوقوف أمام الخيارات القصوى من نوع إما استبداد الدولة والأحكام العرفية وحالة الطوارئ من ناحية أو انفلات العصبيات الدينية والطائفية والمذهبية والعشائرية والجهوية قبل الوطنية وقبل المدنية من عقالها مما سيدمر البلد بالتأكيد من ناحية أخرى.

إن المجتمع المدني هو الحاوية القادرة على استيعاب الولاءات والعصبيات قبل المدنية وقبل القومية وعلى كبح جماحها وإذابتها وتصعيدها وضغطها باتجاه اندماج اجتماعي وطني أرقى استناداً إلى رابطة المواطنة , لذا فإن أي إضعاف للمجتمع المدني من جانب الدولة أو غيرها يدفع الناس في الاتجاه المعاكس أي إلى مزيد من التمسك والاحتماء بانتماءاتها وولاءاتها العشائرية والطائفية والمذهبية والإثنية لأنها تجد الحماية فيها , الحماية من الدولة نفسها في كثير من الأحيان بدلاً من الحماية التي يفترض أن يوفرها الانتماء إلى المجتمع المدني ومؤسساته الدستورية والتمثيلية والإدارية والقضائية

المجتمع المدني صيرورة تاريخية غير ناجزة وخاصة في بلدنا , وهي تحتاج إلى تعزيز ودفع وتقوية لأنها الطريق الوحيدة المتوفرة للخروج من الخيارات الصعبة والحادة التي ذكرناها سابقاً.

ينشأ المجتمع المدني من انحلال الانتماءات والعصبيات الجمعوية , وهذا النوع من الانحلال تاريخي وليس إرادي , ففي عالمنا المعاصر , الولاءات والعصبيات التقليدية في طريقها إلى التلاشي لا محالة , لكن المهم في الأمر وعي هذه الصيرورة جيداً والتحكم بها قدر الإمكان وتوجيه التوترات الناجمة عنها نحو بلورة مجتمع مدني وطني يحل تدريجياً محل المجتمع العشائري الآيل للزوال , والمجتمع المدني وحده من يحمل الطاقة الاستيعابية المطلوبة التي تحتاجها المجتمعات الكثيرة الأديان والآلهة والشيع والطقوس والمؤسسات الطائفية لتحقيق السلم الاجتماعي العام , في الحد الأدنى ولتجاوز واقع الحال الاجتماعي المختلط إلى حال اجتماعية مدنية ومواطنية ووطنية وديمقراطية وحضارية أرقى , في الحد الأعلى

كما أن استكمال عملية بناء الدولة الوطنية الدستورية لا يتحقق من دون وجود المجتمع المدني , إذا كان المقصود بالدولة الوطنية دولة المواطنة والمواطنين لا دولة التماهي الجماعي في الإيديولوجيا والحزب الحاكمين باسم القومية , فهدف الدستور في الدولة الوطنية أو دولة المواطنين المتساويين , ضمان الحقوق والحريات الفردية المتساوية للجميع , وتعني هذه الحريات حق التفكير والتعبير والتنظيم الحر للجمعيات والشركات و والمؤسسات المدنية ولا شيء آخر , والأمر يختلف إذا كان الدستور يفهم على أساس تكريس حقوق الأقوى والأكثر قدرة على إخضاع الناس وتقييد حرياتهم وتوحيدهم بالقوة باسم المواجهة الوطنية وخوض المعركة ضد الصهيونية أو بدونها.

لا يوجد مجتمع مدني من دون دولة ديمقراطية ولا توجد دولة ديمقراطية من دون مجتمع مدني , ولا تطرح فكرة المجتمع المدني بالاستقلال عن الدولة , ولا يسبقان بعضهما , وهما مرتبطان مع بعضهما لأنهما جزء من حركة سياسية واحدة , ومن يقول الدولة أولاً ثم المجتمع المدني فعليه أن يحدد نوع الدولة , فلا وجود للمجتمع المدني في الدولة الاستبدادية , ولن توجد الدولة الاستبدادية المجتمع المدني , ولا تستطيع أن توجده مهما وعدت أو فعلت أو بقيت لأنها النقيض المباشر له , إن وجودها لا مبرر له ولا مقوم إلا القضاء على المجتمع المدني , أي حرمان المجتمع من تنظيم نفسه خارجها , حتى لا يتمكن من مزاحمة القائمين عليها أو تهديد امتيازاتهم وسلطتهم المطلقة والاستثنائية والأبدية , وبالمقابل لا توجد ديمقراطية من دون تنظيمات وجمعيات وأحزاب أهلية , والعكس صحيح فوجود هذه الجمعيات والأحزاب والتنظيمات لا يمكن أن يتحقق من دون دولة ديمقراطية , فأساس الديكتاتورية إلغاء التعددية بكل أشكالها ومنع المجتمع من الدفاع عن مصالحه ضمن أطر تنظيمية مستقلة وخاضعة لإرادته , وإذا وجدت مثل هذه القوى فهي كفيلة بالجهاز على أي دكتاتورية.

عمل للفنان سعد حاجو

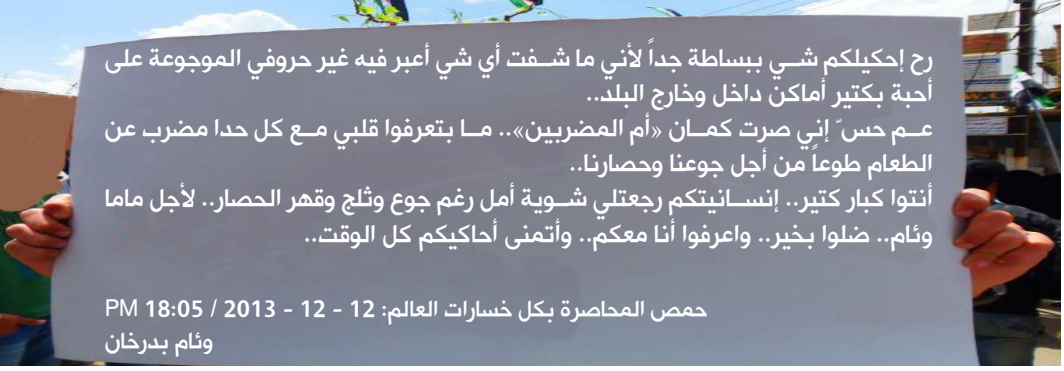

عبد الوكيل بيرقدار

ليست المشكلة في من انتخب على كرسي متحرك، المشكلة فيمن يتحركون بمنتهى الصحة وعاجزين عن قلب الكرسي.

محمد علوش

وإن تفرق الغنم.. قادتهم الغنمة الجربا. «مثل شعبي»..

علا ملص

17 نيسان.. العطلة يلي كان تصدف انو الجو فيها حلو.. ونروح كلنا على بيت جدو..ونعمل مفاجأة لأخي علاء وابن خالتي ونحتفل بعيد ميلادهم..وكل سنة يتفاجؤوا. بحبشت بذاكرتي ما طلع معي غير هيك.. ودمتم.

زويا بستان

وأحلى شي المؤيدين الشمتانين تبع عبارة شفتوا!!.. لك نحنا على الأقل شفنا بس أنتو لساتكن مطمشين وعلى عماها يا بهايم..

ضرار خولي

ما يحصل في بلدان العالم العربي يؤكد على أنه يوجد نسبة تتجاوز الـ50٪ بكثير من سكان هذة الدول يقدسون الحذاء العسكري ولا يستطيعون العيش والحياة بسلام إلا تحت هذا الحذاء.. هنيئا لهم فوز مرشحيهم دائما..

نائل حريري

السوريين نزلوا مناحة لأجلك عمي ماركيز.. جماعة أتقل واحد فيهن مقضي يومين ونص من العزلة على طاقة الفيسبوك..

سالي الذهبي

لما بنطلع خارج دائرة النظام السوري وحتى معارضة النظام السوري بنكتشف أديش الإنسان يلي بداخلنا مقموع ومستهدف ومهمل ومهان. بهاد الزمن البسوري، القابض ع إنسانيته كالقابض ع الجمر فعلا. إنهم يحاولون تحريدنا، بل ويحاولون قتل أحلى ما فينا. يا الله كم ثورة علينا نعمل حتى نشعر فعلا بنشوة الانتصار الحقيقي إنطلاقا من أنفسنا ووصولا للوطن..!

رامي سويد

أكبر تحدي يواجه الثورة اليوم هو إعادة إنتاج «داعش» في المناطق التي خرجت منها «داعش».

عبد الباسط فهد

كل الوعر اليوم عندهم غدا فول بزيت وبكل أنواعه، لقد قام الوعريون بقطاف الفول المزروع في حدائق الحي، نحن نأكل مما نزرع. وليسقط الحصار أو فليبقى الحصار نحن نحاصركم لأننا الحصار أنتم مللتم وأنتفخ قلبكم لكننا ما مللنا بل تعبنا وليبقى الحصار. أو على قولة الحاج عبد الله «طزين بالحصار»..

فادي سعد

الجحيم السوري الجوّال يتوقف طويلاً في حلب.. وإذا كان كما يُقال أن «البرميل يعادل خمسينَ قذيفة هاون»، فهذا لا يعني شيئاً للأموات وأهلهم.. الرحمة للمدنيين الأبرياء الذي يقضون في حلب الشرق والغرب.. الذين يقضون تحت قصف إجرام البراميل، وإجرام الهاون..

علوان زعيتر

في عيد الاستقلال تخلصنا من استعمار خارجي طور البلاد وعبد الطرقات وأقام الجسور، وجاءنا مستعمر داخلي حول البلد إلى مزرعة خاصة.. واعاد البلاد إلى العصور الحجرية..

جواد أبو تمام

منرجع سوريا سبعة مليون مثل يوم استلمناها, منحرث درعا ومنزرعها بطاطا، حرق البلد أو الأسد.. والخ.. هذه الشعارات أطلقت منذ اليوم الأول لم يكن يوجد لحية طويلة في الثورة غير لحية أيمن الأسود..

موسى العمر

في ذكرى الاستقلال المجيد، حدثني شيطاني وقال: يعني لو بقي الفرنسيون في البلاد، ما كان أشرفلكن من المحتل الأسدي!؟ عالأقل كان كل السوريين معن هلق جواز فرنسي ومرحبا عروبة!.. (لم نذق طعم الاستقلال بعد! وإنه لآت غير بعيد)..

عقيل حسين

منذ بداية الثورة والشبيحة يطالبون بإبادة المدن الثائرة (بلاها درعا.. بلاها بابا عمرو.. بلاها حماة بلاها الدير بلاها دوما.. الخ) إلى أن وصل قطار التدمير الشامل إلى فارس الشهابي الذي يطالب اليوم بالابادة الشاملة في حلب!.. للعلم فارس الشهابي لا ينطق عن هواه وتصريحاته منذ سنتين تسبق الفعل الاجرامي بحلب او تمهد له.

آرام كاربت

وكأن الدول العربية كانت مستقرة سياسياً واجتماعياً، وجاء الإرهاب وزعزعها من جذورها. هؤلاء الكتاب، عندما يتكلمون عن الإرهاب، دفاعاً عن طوائفهم، عليهم أن يخجلوا قليلاً، إحتراماً لعقولنا البسيطة.
الدول العربية مخروقة أمنياً وسياسياً ووطنياً، ويجب أن نعلم أنهم من يصنع الارهابيين لإدارة أزمة المنطقة والعالم بالاتفاق مع سيدة الارهاب في العالم، الولايات المتحدة الامريكية..

مخلص ونوس

الفئة الصامتة والمؤيدة التي ترى وتسمع على مدار سنوات الثورة تدمير المدن، والاعتقال، والقتل تحت التعذيب، وبقيت على صمتها وحيادها، هي وصمة العار الأكثر إيلاماً والتي ستلطخ تاريخ سورية لسنوات وعقود وربما لقرون قادمة. الطغاة سينقرضون ويبقى عار هؤلاء.

محمد ضياء الصابوني

بعد ثلاث سنوات من بدء الثورة، انسحب من واجهة المشهد كثيرون. ولم يبق إلا صنفان.. المؤمنون الطيّبون جدا، والعرصات جدا جدا.. جدا!..

جبر الهندي

ظاهرة العساكر اللي واقفين بشوارع دمشق برفقة صبايا بمقتبل العمر بزيادة مضطرد.. وأحيانا بكونو بمجموعات 2 2، ومن وقفتهن أو مشيتهن بيبّن إنهن حديثي التعارف.. يمكن مَراء عسكري.. يمكن مصلحة، إحداهن طَبقت حاجز ساحة شمدين بكاملو بس منشان يعملو قتلة لشوفير مكرو تخانقت معو قبل بنهار، يا حرام الزلمة راح دعوسة.. سبحان مغير الأحوال لما كان اللي لابس بدلة عسكرية يُعامل معاملة النافقة الجرباء والقبّات ينظرن إليه شزرا.. حتى لو كان طالب جامعي، لك كنت إشتهي كلب يعوي عليي بوقتها..

نجيب جورج عواد

نسجد لآلامك أيها المسيح فأرنا قيامتك المقدسة في بلدنا وحياتنا..

عارف حمزة

لم أكنْ أرغبُ في ذلك
ولكنّهم سحلوني إلى هناك
مثلما يسحلونَ أمّاً
لتشاهدَ عشرين جزاراً
يُقطّعونَ ابنها بالبلطات..
ومثل تلك الأم أغمضتُ عينيّ
لكنّهم فتحوها بالسكاكين
التي يفتحونَ بها المحار
ومن أعلى التلة
وبرجفةٍ في الركبتين
رأيتُ حياتي وهم يضربونها بالسياط
وعندما تأكّدتُ أنّها حياتي الضعيفة
كانوا قد انتهوا
من تقطيعها بالبلطات.

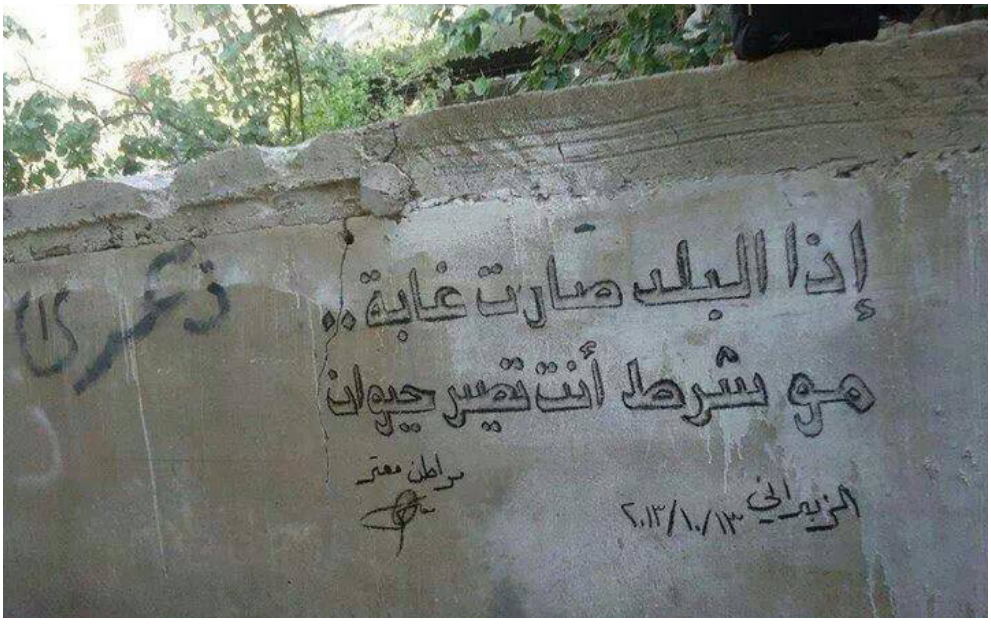

بمناسبة الجمعة العظيمة.. أرغب أن أكتب عن الطائفية:

ليس فقط لأن من يكتب طائفياً، يشعر بحريته أكثر بكثير، خاصة أولئك القلة الفيسبوكية الذين يتمتعون بالوقاحة الكافية للقيام بذلك بطريقة لا تبدو شريرة فقط في طرحها، ولكن في تمتعها كذلك برضا وقبول أولئك الذين لا يملكون الوقاحة الكافية لقول ما يقال.

يبدو الطائفي محصناً بطائفته، التي يظن أنها اكتسبت لوناً واحداً، ومواصفات واحدة، وكأنها تحولت لكتلة واحدة، دون اعتبار للفروقات فيها او الاختلافات أو التضاربات أو التناحرات.

التصنيف مريح لمن أراد تسطيح عقله، ليس أسهل من أن تعتبر العلويين مع النظام، والسنة سلفيين، والمسيحيين لا منتمين، والدروز منغلقين، والإسماعيليين مترددين.. والأكراد انفصاليين.

هؤلاء يضعون أملهم في سفينة النجاة الوحيدة. ولا يهم من أي طائفة كانوا مادامو قد ركبوا المركب الوحيد.

كثيرة هي الظواهر الغير قابلة للتصنيف، فيتم تجاهلها، بينما يتم إخضاع وثني مظاهر أخرى، لتصب في تصنيفاتهم.

ونبدو نحن (الكثيرون كذلك) كظواهر غير قابلة للتفسير، غير قابلة للتصنيف، فيما يتم إخضاعنا من حيث لا ندري ولا نريد لتلك التصنيفات الهزيلة.

للأسف لم تخلق ثورتنا من يمثلنا، وقد نكون نحن من لم يستطع خلق ما يمثله.

الثورة اوجدت رجال دينها، ومشايخها، وأمراء حربها، كما ولد النظام مشايخه، واصطفافاته، وأمراء حربه..

وكما لدى النظام منظريه الهزيلين والسطحيين، فما برز في الثورة اليوم هم هؤلاء كذلك للأسف.

الثورة لم توجد وجهاً وطنياً لها، ولا واجهة وطنية، وما تم حتى الآن يتمتع بالهزالة الكافية، لاسقاطه بكل سهولة ليس سياسياً وشعبياً فقط، وإنما كذلك أخلاقياً.

فما البديل أيها المثقف الوطني العظيم؟ كما يا من مازلت تعتبر نفسك سورياً غير قابل للتصنيف.؟

يبدو أننا كأفراد أولاً بحاجة لإعادة تعريف أنفسنا، وهو ما لا يملك هؤلاء الجرأة الكافية للقيام به.. ففي الوقت الذي يقومون فيه بتصنيفاتهم الطائفية، لا يقبلون تصنيفهم كأفراد كطائفيين. هم يعيشون المساحة الوسط، وكأن الرمادي الذي لم أعد مؤمنة بوجوده على الأرض، أصبح لوناً لجماعة جديدة تضيع في محاولات التصنيف والإخضاع للاتمتة.

في وقت أصبح ما يجب أن يقال أكثر بكثير مما قيل لحد الآن، وفي وقت لابد فيه من مراجعات جديدة لعقولنا ولتوجهاتنا، يبدو الجميع منكفئا لا يرغب في خوض هذا النقاش السطحي المبتذل، لأنه يخشى إخضاعه شخصياً للتصنيف.

نحن الذين نشعر أن الثورة أصبحت ثورات، لا نملك الجرأة الكافية للقيام بالثورة الثانية، وإن لم تكن فكرية هذه المرة فعلى الثورة الأصل السلام.

خولة دنيا

مدرسة الكبار

حين نظر المسافر إلى عيني ذاك الفتى، أخبرته روحه بأنها لم ترى بريقاً كمثل بريقهما من قبل، وروى له قلبه عن سحر يكمن داخلهما. ولما سمع الصغير ما تحدثا به عنه، أحس بالأمل والسرور يجريان في عروقه، فسارع إلى رسم مدرسة كبيرة أذهلت المسافر الذي كان وحيداً فيها، أو ربما كان برفقة جميع الكبار في ذلك المكان. وهناك كان يُدرس الصغار الكبار أنه لن تلمع عينا الإنسان ولن تسحر إنساناً آخر حتى يطيب قلبه للخير وتطيب به نفسه لمن حوله. وبعد لحظات اختفى الصبي واختفت المدرسة والطرقات والأشجار واختفى المارة واختفى كل عمران وبنيان. ثم أيقن المسافر بأنه بات يقطن في عيني الفتى الصغير، وبأن رحلات قد لا تنتهي سيغدوها ليتعلم كرم وطيب الإنسان في أعماقهما.

سوريا / ريف حلب / 2012

نصوص وتصوير: باسل حسو | دقق النصوص: ميمونة العمار

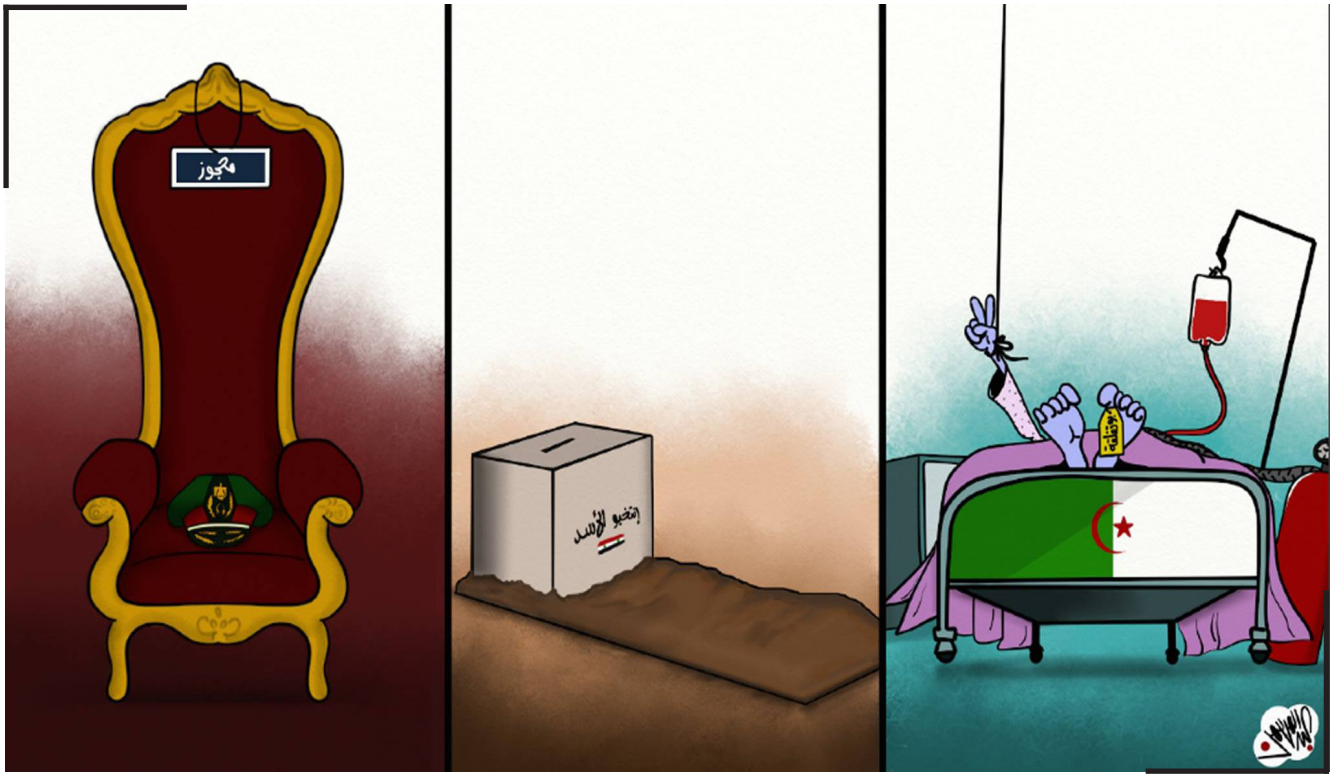

كاريكاتير العدد | الفنان عبد المهيمن بدوي

الجلاء الثاني قادم

■ زليخة سالم

احتفال في مدينة دير الزور بجلاء القوات الفرنسية عن سوريا ولبنان عام 1946

يحتفل إعلام النظام بعيد جلاء المستعمر الفرنسي عن الوطن، الذي يرزح الآن بفضل نظامه تحت وطأة الاحتلال الإيراني والروسي، والمليشيات اللبنانية (حزب الله) والعراقية (أبو فضل العباس) ودولة العراق والشام داعش وغيرهم كثير من المرتزقة الجهاديين الذين قدموا من كل حدب وصوب لدعمه في قتل وإجلاء الشعب السوري من وطنه.

السوريون قدموا عبر تاريخهم الشهداء للتخلص من الاستعمارين العثماني و الفرنسي،الذي توج في انتصار الثورة السورية الكبرى، وجلاء آخر جندي عن الأراضي السورية في 17 نيسان 1946، إلا أن الاستعماريين الذين خرجا من الباب عادا من الشباك بلباس آخر وهيئة مختلفة يتلاعبون مع غيرهم من الدول التي تسمي نفسها صديقة بمصير شعب ثار على الظلم والاستبداد والدكتاتورية والقمع، فجعلوا منه فصائل وهيئات وكتائب ومعارضات مشتتة.

ما أشبه اليوم بالأمس حيث تتشابه وسائل الاستعمار القديم في إثارة الفتن المذهبية والتحريض الطائفي للقضاء على الثورة،التي يستخدمها الاستعمار الحالي المتمثل بالنظام وداعميه من الدول والعصابات التي حاولت منذ بداية الثورة تحويلها إلى حرب طائفية، وتخويف الأقليات.

وفي هذا الصدد نُذكر بمقطع من منشور وجهه القائد العام للجيوش الوطنية السورية إلى اللبنانيين على إثر الأحداث التي وقعت في قرية كوكبا من أعمال مرجعيون من خلال تصدي عصابات مسلحة محرضة من قبل الفرنسيين لفريق من جيش الثورة السورية وأطلقوا عليهم النار دون سبب موجب، حيث يظهر تشابه الحالة نظرا لتشابه أساليب الدكتاتوريات، والمستعمرين في محاولات فرض الواقع.

«على أن الحكومة الفرنسية كرهت أن يعلم العالم الخارجي أن في سورية روحا وطنية، وشعورا صحيحا بالإخاء الوطني فعمدت إلى أتباعها من المغرورين المخدوعين، فزينت لهم أن يقفوا في جانبها ضد الحركة الوطنية، وبذلت قصارى جهدها لبذر بذور الشقاق بين أبناء البلاد، مستثمرة الفروق المذهبية، ولقد بلغ من سوء نيتها أنها سلحت فريقاً من أبناء البلاد، وجردت الفريق الآخر لتوهم العالم أن هناك خطراً على الأقليات، ولتوهم الفريق الذي سلحته أنها حريصة على سلامته، حال كون هذا العمل يؤدي حتماً إلى إيقاظ سوء الظن في الفريق الآخر، ويحمله بالتالي على الحيطة والوقوف موقف النفور من أبناء قومه ووطنه.

ولا يخفى أن الغرض الرئيسي من هذه السياسة الفاسدة هو تحويل الثورة من صيغتها الوطنية إلى حرب ذات صبغة دينية شنيعة الحال والنتيجة، وذلك كي يقنع الرأي العام في أوروبا أن وجود الانتداب الفرنسي في سورية هو أمر ضروري تتوقف عليه سلامة فريق من السكان».

وجاء في مقطع من بيان آخر « بات من الجلي الواضح أن الحكومة المستعمرة تريد أن تخدع العالم الخارجي، وإقناعه أن الثورة الوطنية ذات صبغة دينية، وذلك لكي يقر في أذهان الأمم المتمدنة أن انتدابها على سورية هو أمر ضروري لسلامة الأقليات وصيانة حقوقها، ولذلك من الفروض الواجبة على كل من في قلبه إخلاص لوطنه، وحب للحرية أن يبذل أقصى مجهود ليكذب هذه المزاعم ويثبت لهذه الحكومة أنه غير راض عن سياستها «.

وبمقارنة بسيطة نرى أن ما حصل في الماضي يحصل الآن مع فارق أن البلاد كانت محتلة من استعمار أجنبي، وهي الآن محتلة من أبناء البلد أو من كنا نظنهم أبناء البلد الذين وصلوا إلى مستوى من الإجرام والوحشية لم يشهده التاريخ القديم والحديث بعد.

في الثورة السورية الكبرى تداعى السوريون من كل المناطق ليكونوا يدا واحدة في تحقيق انتصارهم، ورفضوا أي إملاء خارجي، وحالوا دون تقسيم سورية، لأنهم واجهوا الاستعمار صفا واحدا متعاونين متضامنين على هدف واحد، واجتمعت كلمتهم على تنصيب سلطان باشا الأطرش قائداً للثورة وهو من طائفة الموحدين الدروز، أي من الأقليات حسب تعبيرهم، رغم كل محاولات الاستعمار الفرنسي لبث الفتنة بين الطوائف والمذاهب في حينها، وهذا ما لم يحصل في ثورتنا التي أظهرت تشتتاً غير مسبوق في صفوف المعارضة السياسية والعسكرية التي أصبحت رهناً لأجندات متعددة عربية وأجنبية، جعلت من سورية ساحة صراع وجذب للجماعات الإرهابية، لتكريس مزاعم النظام بأنه يقاتل إرهابيين، ونحن في زمن التواصل الاجتماعي عبر الانترنيت، وليس التواصل عبر الحمام الزاجل.

بعد ثلاث سنوات من بدء الثورة مازال النظام يقتل السوريين ويهجرهم ويتلاعب بهم، تارة بإثارة الفتن الطائفية، وتارة بتحريك عملائه وأتباعه من المجرمين المفرج عنهم من سجونه والذين تحولوا إلى أمراء وقواد كتائب تخزن الأسلحة وتمنعها عن الثوار الحقيقيين، وتدمر مناطق بعد دخولها، لتنسحب منها لاحقا تحت مسمى انسحاب تكتيكي وغالباً ما يكون لمصلحة النظام.

والمعارضة السياسية التي أظهرت ضحالة في التفكير والممارسة لم تكن أحسن حالاً، فقد دس النظام بين صفوفها من يحول دون اتفاقها ووحدتها، إضافة طبعا إلى تأثير الممولين العرب والأجانب في خلق شرخ دائم بينها, ومنع التقائها على كلمة واحدة لتحقيق أهداف الثورة، لأن ذلك أبعد ما يكون عن إرادة الممولين الذين يريدون إجهاض الثورة لكي لا تمتد إلى حدودهم، على الرغم من أن أحداً لن يبقى بمنأى عن تأثيراتها.

علينا أن نقرأ ونتعلم ونتعظ من التاريخ، التاريخ الذي لم يسجل هزيمة شعب ثار على طاغية، وأن نعمل معاً لاستعادة مسار الثورة، وتخليصها من اللصوص والمتسلقين والعملاء، والتوقف عن استجداء الخارج الذي يراقب بصمت ما يتحقق له بأيدي الغير، وأن ندرك أن وحدة ثوار الداخل فقط هي السبيل الوحيد للخروج من هذا النفق، وتحقيق الجلاء الثاني بعد أن دفع السوريون ثمنا باهظا من أجل الحرية والكرامة والعدالة.

الوحشية والإجرام الذي مارسه النظام دفع الكثيرين إلى مقارنته مع الاستعمار والترحم على أيام هذا الأخير الذي بنى حضارة في بلادنا ولم يدمر المدن والآثار والبنية التحتية، مقارنة صعبة ومحزنة وتدمي القلب لأنها بين استعمار أجنبي، وابن البلد.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (93728)

دمشق: 6558
ريف دمشق: 21683
حمص: 12859
درعا: 8344
إدلب: 10133
حلب: 17984
دير الزور: 5456
الرقة: 1107
السويداء: 75
حماة: 6218
اللاذقية: 956
طرطوس: 351
الحسكة: 681
القنيطرة: 693

7436 عدد الأطفال الذكور
3388 عدد الأطفال الإناث
6910 عدد الإناث
25492 عدد العسكريين
68236 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 19 / 4 / 2014
http://www.vdc-sy.info/

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر